بسم الله الرحمن الرحيم سبحن الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذى بركنا حوله لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير ❁ وءاتينا موسى الكتب وجعلنه هدى لبنى إسرءيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ❁ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا ❁ وقضينا الى بنى إسرءيل فى الكتب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ❁ فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلل الديار وكان وعدا مفعولا ❁ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنكم بأموال وبنين وجعلنكم أكثر نفيرا ❁ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الأخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ❁ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكفرين حصيرا ❁

صدق الله العظيم



Islam and Palestine

نشرة غير دورية تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية

العدد السادس والثلاثون | ٢١ رجب ١٤١١هـ | ٦ شباط (فبراير) ١٩٩١م

في هذا العدد

الاسلام ينتصر...

هذه المدينة العربية الاسلامية تزرع قدميها في قرون الزمان. وعندما يقرأ المسلمون تاريخهم أويستحضره عقلهم الجمعي فانهم بالضرورة يذكرونها معظم الوقت والزمان. هذه بغداد عاصمة الخلافة وحاضرة الدنيا، مدينة السياسة والحرب والأدب والشرع والحكمة. عندما جاءها التتار، موجة بعد موجة، ابتلعتهم في داخلها وعلمتهم التوحيد وكستهم بالحضارة.

في الحرب الاولى وقف الغزاة على مسافة منها سنوات ثلاث قبل أن تنحني على جراحها الى حين. وبعد أن زرع الكيان الصهيوني في فلسطين، مركزاً لهجمة الغرب الكبرى ورمزاً للتحدي، لم تترك بغداد فرصة للحرب الا وخرجت لمنازلة العدو.

عاشت بغداد العقدين الاخيرين من زمانها مسكونة بالخوف والموت والقهر، حتى اخطأت يوماً، سهت يوماً، وسمحت أن تقاد الى حرب الشقيق... الى الاعتداء على حرمة أرضه وسمائه وماله ودمائه. واليوم تصحو بغداد من غفلة الزمان، تصحو فتجد أبناء المدن الصغيرة، قصيرة العمر والتاريخ، يحتشدون على بواباتها. فينهض فيها التاريخ لمواجهة الزائل المعتدي، وينهض فيها التوحيد لمواجهة أرباب الصراع، وتنهض فيها الأمة لتسير نحو الزمن الجديد. هذه المدينة العربية ـ الاسلامية تتطهر الآن في بوتقة النار وتنجلي، وتنظر الى إرهاب التكنولوجيا الاميركية ودكتاتورية شاشات التلفاز الدولية، وتمشي الى ساحة النزال.

• • •

لأكثر من قرن من الزمان والأمة الاسلامية تتلقى الضربة تلو الضربة من قوى الاستعمار الغربي، وتتراجع خطوة بعد خطوة، حتى لم يعد هناك مجال للاحتمال أو التراجع. وبعد كل معركة كبرى خاضتها الامة في العقدين الماضيين كنا نظن ان الغرب الجائر قد استلم رسالتنا وأدرك حجم غضب جماهيرنا. قاتلت طهران مرتين في عشرة أعوام، مرة ضد حكومة الشاه، أداة القوى الغربية وامتدادها، ومرة أخرى ضد عدوان الأشقاء الذي ارادته العواصم الغربية ودفعت اليه ثم شاركت فيها جهاراً نهاراً. وبعد أن سكتت المدافع واستقرت الدماء ظنت الأمة أن الغرب قد وعي الدرس. وقاتلت بيروت لعقد ونصف من الزمان، منها عشرة أسابيع كاملة في مواجهة الآلة الاسرائيلية ـ الأميركية وهي ترفض الركوع أمام الغزاة. ثم قاتلت لدحر الغزاة من حجرها، اسرائيليين وأوروبيين وأميركين. وبين موجة قصف واخرى كانت الأمة تدعو الله في صلاتها أن يعي المعتدون «الدوليون» الدرس ويتركوا شعوبنا تلملم جراحها وسنوات عمرها الضائع!. وقاتل شعبنا المجاهد في فلسطين ومازال، مجردا من السلاح أعزل اليدين، مؤسسة العدو العبري المحتل لسنوات ثلاث، من شارع الى شارع ومن قرية ومخيم وحي الى قرية ومخيم وحي. وفي منعطف غير واضح الملامح ظن البعض من شعبنا أن الاعداء قد وعوا درس الغضب والصمود، وأن جزء من الحق والعدل قد يتحقق ويستقر. بيد أن التحالف الغربي ـ الصهيوني لا يعي ولا يعقل، ذلك أن بنيانه الحضاري ونموذجه كله، من الرأس الى الجذور، بني على الصراع وعلى قهر الآخر وانتهاك حقه. أن النموذج الغربي الامبريالي المهيمن على عالمنا نقيض للعدل، ونقيض للتوحيد ومناف للانسان. ولأنه كذلك فها هو يعيد الكرة من جديد في شرق جزيرة العرب، ويحشد عتاده ويصب ناره على العراق. فأي وهم صورلهم أن الأمة الناهضة من كوالالمبور الى كابل ومن نابلس حتى تونس وكانو، ستركع أمامهم على ضفاف الرافدين؟. أي وهم صورلهم أن مدينة الحكمة والشرع والحضارة ستنحني أمام أبناء مدن رعاة البقر وقتلة الانسان والتاريخ والحضارات.

• • •

يغادر وزير الخارجية البريطانية في اليوم السابع لاندلاع الحرب لندن الى باريس للاجتماع بنظيره الفرنسي لبحث مستقبل المنطقة بعد انتهاء القتال، معيدا الى الذاكرة اجتماعات مارك سايكس وجورج بيكو في خضم سنوات الحرب الاولى. وهي الاجتماعات التي جاءت بالاتفاقية الفرنسية ـ البريطانية لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية وتجزئتها عقب نهاية القتال. وهناك اجماع وتصميم في المؤسسة الغربية الامبريالية على أن تستمر صناعة مستقبل العالم الاسلامي في يد اصحاب القرار الغربي، لابيد أهله من المسلمين. ولكن ماغاب عن وزراء الخارجية الأطلسيين أن وضع أمتنا اليوم ليس كأوضاعها قبل ثلاثة أرباع القرن. وأن الغضب الساكن صدور جماهير هذه الأمة لايوازيه غضب. وأنها ستقاتل من الصحراء الى الأهوار ومن شعاب الجبال الى شوارع المدن العتيقة. وأنها ستقاتل لتنتصر ■

أميركا وحرب الخليج: من أزمة محدودة الى تورط واسع طويل

استشعر العراق منذ مابعد شهور من وقف اطلاق النار في الحرب العراقية - الايرانية ان ثقله العسكري الجديد ودوره في المنطقة العربية أصبح مستهدفا من القوى الغربية التي وقفت معه بلا حساب في حربه ضد ايران الاسلامية. وقد ازداد الشعور العراقي بالخطر منذ مطلع العام الماضي، خاصة بعد أن دفعت دول الخليج والعربية السعودية بأسعار النفط الى مستوى متدن. وفي محاولة بدت - من الجانب العراقي - لكسر حالة الحصار احتلت القوات العراقية الكويت في صباح الثاني من أغسطس (آب) الماضي.

أصبح انفجار الأزمة مناسبة من وجهة النظر الأميركية لاختبار الوضع العالمي الجديد، أي حالة شبه التفرد الاميركي في القرار الدولي، اضافة الى فرض حدود واضحة وقاطعة على حجم التسليح العراقي، ودفع العراق خارج الكويت والحفاظ على حدود الحرب العالمية الاولى في المنطقة العربية، بالغة الاهمية اقتصادياً واستراتيجياً.

كانت عناصر قوة الجانب العراقي في شهور الازمة تتعلق باحتمالات تحرك شعبي عربي - اسلامي واسع لدعمه، وثقته في مقدرته على خوض معركة طويلة ان وصلت الازمة الى وضع الحرب، اما ضعف العراق الاساسي فقد جاء من نظامه الحاكم وعدم ثقة القوى الاسلامية في المنطقة به.

كان واضحا منذ بداية الازمة ان حلها عربيا أمر ممكن التحقق، ان قبلت الادارة الاميركية بتقديم تنازلات جوهرية عن أهدافها المعلنة وغير المعلنة في مواجهة العراق.

ومنذ اغسطس (آب) الماضي وحتى فجر الخميس ١٧ يناير (كانون الثاني) كانت القيادة الاميركية تقف عقبة أمام المحاولات العربية لتسوية الازمة، كما كانت ترفض تقديم فرصة تفاوض جاد للعراق، واندفعت الادارة الاميركية - ودفعت - بالازمة داخل منطق الحرب حتى اندلعت نيرانها الهائلة. فلماذا رجح خيار الحرب على طريق التسوية وكيف تبدو الآفاق العامة لهذه المعركة الكبرى من معارك القرن؟

الادارة الاميركية وخيار الحرب

منذ نهاية سبتمبر (أيلول) أصبح واضحاً أن أزمة الخليج تتجه نحو الحرب والانفجار، ليس لأن التسوية غدت صعبة أو مستحيلة. بل لأن الادارة الاميركية أصبحت أسيرة لمنطق الحرب والدارس لتاريخ النموذج الانغلوساكسوني الاستعماري (بريطانيا والولايات المتحدة) يلاحظ أن حكومات ودول هذا النموذج - وبعكس الشائع - لا تذهب للمعارك الكبرى بارادتها الواعية بقرار واضح في مطلع الازمة أو بتخطيط مسبق. وما هو مشهور عن الدبلوماسية البريطانية في القرن التاسع عشر «التي خطتها مدافع الاساطيل»، اقتصر في معظم الحالات على معارك صغيرة ومحدودة ومتوقعة النتائج. أما الأزمات الكبرى فقد كانت بريطانيا تحاول حلها بدون تورط عسكري كبير، أو انها كانت تجر الى معاركها جراً. حدث ذلك في حرب القرم وفي الحربين الاولى والثانية، وفي حرب السويس (العدوان الثلاثي) ظنت لندن أن نتائج المعركة مضمونة من البداية ولم تكن تتوقع المعارضة الاميركية.

بعد الحرب العالمية الثانية وبصعود الولايات المتحدة الى الساحة الدولية ورثت واشنطن الى حد كبير مباديء عمل الدبلوماسية البريطانية تجاه الأزمات، بل وجعلت لندن شريكة - وان ثانوية - لها في صنع القرار. ففي كوريا جرت واشنطن الى الحرب جرا، وفي فيتنام تورطت بالتدريج وعلى مدى سنوات، حتى افاقت على جثث الآلاف من الجنود عائدة من الشرق البعيد. وكان قرار الحرب الأميركي الواعي مقصورا على حالات سريعة الطابع مضمونة النتائج مثل الدمينيكان وغرينادا وبنما. ولعل الحرب الباردة بسنواتها الطويلة مثالاً واضحاً على تجنب «الانغلوساكسون» للحروب الكبرى غير مضمونة النهايات.

رأت الادارة الاميركية منذ دخول العراق للكويت أنها أمام أزمة كبرى. فما كان على دائرة البحث ليس فقط مستقبل الكويت، بل مستقبل المنطقة ككل بثرواتها وموقعها الاستراتيجي، وخروج العراق بامكاناته العسكرية التقليدية وغير التقليدية عن الحد المسموح به لدولة عربية أو «عالمثالثية»، اضافة الى مستقبل الولايات المتحدة كدولة شبه وحيدة في صنع القرار الدولي. وما نرجحه هنا أن واشنطن (ولندن الى جانبها) اعتمدت منذ الايام الاولى للأزمة سياسة الحشد والمزيد من الحشد لفرض استسلام العراق. وكان صناع السياسة على جانبي الاطلسي يتصورون أن الازمة لن تصل الى حد اشتعال المعارك، إذ أن القيادة العراقية ستلجأ الى التراجع عندما تتيقن من أن الحشد الغربي وصل الى مستوى يمكنه من كسب الحرب. وسيؤدي هذا التراجع العراقي المهين في المرحلة التالية الى فرض الشروط الغربية على العراق في كل ما يتعلق بالمسائل الرئيسية اللازمة، بل وقد يؤدي الى تغيير النظام العراقي ذاته أوحتى الى بقائه مهاناً مجرداً من ثقله العسكري الكبير. ولكن العراق لم يستسلم أمام الحشد. وكان حجم الحشد والتصعيد الاميركي قد وصل الى مرحلة يصعب عندها التراجع الاميركي بدون أن يمس ذلك وضع الولايات المتحدة كدولة كبرى. وبذلك أصبحت الادارة الاميركية أسيرة لسياستها تجاه الأزمة أكثر منها صانعة لها، أسيرة لمنطق الحرب أكثر منها صاحبة قراره الواعي. والذي يعود الى الخطاب السياسي البريطاني في الأيام الأولى من أغسطس (آب) ١٩١٤ عندما كان وزراء الدولة يَعدون البريطانيون بعودة الجنود من أوروبا قبل أعياد الميلاد، أوالى التقدير الأميركي الذي تصور أن الخبراء العسكريين الاميركيين سيعودون من فيتنام بعد شهور قليلة، لن يستغرب التعليقات وتصريحات المسؤولين الغربيين الذين تصوروا حل أزمة الخليج باستسلام عراقي قبل أعياد ميلاد ١٩٩٠، أونهاية الحرب

بعد أسابيع قليلة من نشوبها. إن هذا الوضع - المتكرر في التاريخ الامبريالي الانغلوساكسوني - يجعل من هذه الحرب الكبرى مفتوحة للاحتمالات غير محسومة النتائج، بل ويزداد انفتاحها أمام الاحتمالات كلما طال أمدها. وينطبق هذا التقرير على فعالية ودور معظم المحاور الرئيسية للصراع وأدواته:

١ - قدرة العراق الدفاعية واطالة أمد الحرب:

ظهرت أول مآزق التحالف الأميركي بعد الساعات الاولى من اندلاع الحرب. اذ بدا وبشكل واضح أن القيادات الغربية والسياسية والعسكرية على السواء، أخطأت في حساب قدرة العراق العسكرية على الدفاع والصمود. ومن العبث الحديث عن أن العراق أخفى طائراته ومعداته خوفاً من المواجهة، أوان الجانب الآخر مازال يعتمد على الضربات الجوية خائفا هو الآخر من مواجهة برية مبكرة. وفي الحرب يستخدم كل طرف - بشكل تقليدي ومباشر - في المراحل الأولى أقوى اسلحته. ففي حين يعتقد التحالف الاميركي ان السلاح الجوي هو أنجع وسائل المعركة الأولى فان العراق يرى ان اعتماد التحصن والانتظار للمعركة البرية هو الافضل بالنسبة له. وفي ظل هذا الوضع من المتوقع ان تمتد الحرب لأسابيع طويلة ان لم يكن لأشهر أطول، خاصة أن العراق وفي الوقت الذي لجأ فيه الى التحصن والانتظار، فانه يمارس دفاعاً مرناً غير تقليدي، بل وبأساليب قد تخرج عن نطاق الحرب الحديثة، مثل استخدام صواريخ سكود غير الدقيقة لخدمة اهداف عسكرية وسياسية على السواء، أو الاستخدام الكثيف للالغام الارضية، ودفع ملايين البراميل من النفط الخام الى سطح الخليج، واذ ينتظر العالم مفاجآت جديدة من العراق في هذا المجال فان سلاحي النفط والصواريخ تصنع بالفعل مشاكل كبرى، سياسية وعسكرية، للتحالف الاميركي، ناهيك عن حجم التحصنات الارضية للقوات العراقية التي لم يكشف منها حتى الآن الا القليل. ان احتمالات استمرار المعركة لزمن أطول بكثير مما كان يتصوره القادة السياسيون والعسكريون الغربيون، ستكون الباب الواسع لمعظم المتغيرات الاخرى غير المحسوبة غربيا على مسرح المعركة الواسع.

٢ - مستقبل التحالف الأميركي:

لأن القيادات الغربية رجحت طوال شهور الأزمة الأولى استسلام العراق بلا قتال، فان التحالف الذي بنته من الدول الغربية والعربية بقيادة الولايات المتحدة، كان تحالفاً لتسيير الأزمة وليس تحالفاً لخوض الحرب، وقد أصيب عدد من المراقبين بالذهول أمام التحول السريع في الرأي العام الغربي نحو دعم قرار الحرب والقتال في الأيام الأولى من المعركة خاصة في أميركا وبريطانيا وفرنسا. غير أن هذا الدعم الغربي العام للحرب ضعيف القواعد وهش البنيان، ليس لأن هذه الشعوب سرعان ماتعي - عقلا - لا عدالة الحرب وظلمها بل لأنها لاتحتمل المعارك الكبرى الطويلة ضخمة الخسائر. وان سارت المعركة لشهور وبدأت جثث الضحايا في العودة للعواصم الغربية سنرى أمراً «عجبا» آخر في انقلاب الرأي العام الغربي ضد الحرب بكل ما سيتركه ذلك على أطراف التحالف الأضعف مثل فرنسا وايطاليا. اضافة لما سينميه طول الحرب من مخاوف أوروبية على مستوى العلاقة مع العالم الاسلامي.

المتغيرات في الاتحاد السوفياتي هي الأخرى أمر لابد من الالتفات له. اذ أن موسكو تطلب الآن من الغرب الأطلسي ثمناً قد يبدو باهظاً لاستمرار دعمها للتحالف الأميركي، سواء على مستوى قمع الجمهوريات المطالبة بالاستقلال أو على مستوى استمرار الدعم الاقتصادي الأورو-أميركي لموسكو، وهناك مؤشرات يصعب التدقيق فيها حول أن المؤسسة العسكرية السوفياتية تتحرك لاعادة امداد العراق بالسلاح وقطع الغيار، ربما عن طريق ايران. أما الجانب الأضعف على الاطلاق في التحالف، فهو مجموع الدول العربية والاسلامية التي استخدمت غطاء للتدخل الأميركي. وقد شهدنا منذ الأيام الأولى للحرب تحلل النظام المغربي من مشاركته في التحالف. وهناك ضغوط شعبية هائلة في باكستان. واذا استمرت الحرب الى مابعد شهر رمضان المبارك، وربما الى موسم الحج، فسنرى مشاكل جوهرية متصاعدة على المستوى الاسلامي كله وعلى المستوى السعودي ذاته. أما مستقبل الدور المصري والسوري وعلاقة ذلك بايران وتركيا ودولة الكيان الصهيوني فسنبحثه في موضع آخر.

٣ - الوضع الجماهيري العربي - الاسلامي؟:

يصعب تصور كسب العراق للحرب أو خروجه متعادلاً اذا استمرت ساحتها مقصورة على منطقة الخليج (العراق، الكويت، والسعودية). ومخرج العراق الرئيسي هو في توسعها اقليمياً بدخول ايران وتركيا ودولة العدو الصهيوني، وتوسعها جماهيريا بتصاعد حركة التأييد الجماهيري العربي والاسلامي وامتدادها للمناطق التي لم تصلها حتى الآن وبشكل خاص مصر وسوريا وتركيا. شهدت الأيام الأولى من المعركة حركة انتفاض جماهيري اسلامي بالغة الأهمية في مصر والجزائر وتونس والسودان وباكستان ومناطق اخرى. إلا أن هذه المناطق وعلى أهمية دورها ليست هي الأثقل في الميزان. فهي اما ساحات عرفت اساساً، رسمياً وشعبياً، بتأييدها للعراق، أوهي بعيدة نسبياً عن ساحة الحرب وضعيفة التأثير على القرار الغربي السياسي والاقتصادي. ومايثير قلق العواصم الغربية بالذات أن تتحرك الجماهير في الدول المشاركة في التحالف مثل مصر وسوريا وتركيا. ويلاحظ في هذا الشأن أن عدم الثقة في النظام العراقي - كما اتضح من بيانات مسؤولين الاخوان في مصر والمسؤولين الايرانيين - أو العجز عن فهم الموقع التاريخي للصراع. أو قهر السلطة الحاكمة البالغ، كلها عوامل عطلت ومازالت تحركاً شعبياً واسعاً في مصر وسوريا وتركيا، أو تحركاً رسمياً فعالاً في ايران. على ان اطالة زمن الحرب يفتح الباب لتطورات مفاجئة في هذا المجال. خاصة ان دخول العدو الصهيوني طرفا في المعركة مازال أمراً محتملاً.

واذا أمكن لنا اختصار هذا المحور في جملة واحدة فأن أمل العراق الكبير يجب ان يكون معلقا على تحرك شعبي في مصر. ذلك ان دور مصر الرئيسي في التحالف الأميركي، وحجم مصر التاريخ والحاضر، يجعل من الصعب، ان لم يكن من المستحيل، تصور كسب هذه الحرب عربياً

واسلامياً، سياسياً أو عسكرياً، بدون تحرك مصر الشعبي على الاقل.

٤ ـ التوازنات الاقليمية:

حاول العراق منذ بداية الأزمة، كما حاولت قيادات اسلامية عديدة من خارج ايران وشخصيات وزعامات اسلامية ايرانية، ان تجعل من الجمهورية الاسلامية تأخذ الجانب العراقي في الحرب. والدعوى الاسلامية لهذا الأمر ذات منطق قوي، فلم تعد المعركة هي معركة الكويت، ولم تعد أيضا «معركة صدام حسين» بل هي مرحلة جديدة في الصراع حول مستقبل العالم الاسلامي كله. وبدون الدخول في التفاصيل المتعلقة بهذا الامر، اتضح منذ خطاب الرئيس رفسنجاني يوم الجمعة ٢٥ يناير (كانون ثاني) وخطاب قائد الثورة الاسلامية آية الله خامنئي في اليوم السابق ان القيادة الاسلامية في ايران اختارت في هذه المرحلة التزام موقف الحياد في الحرب، مع بعض المساعدات الجانبية للعراق اقتصاديا وعسكريا. ويعني ذلك أن القوى الاسلامية (الراديكالية) في ايران قد خسرت الجولة الأولى، أي فشلت في اقامة رأي عام قوي، شعبي ورسمي، داخل ايران لصالح مشاركتها في الحرب. إلا أن تلك النتيجة لا يمكن اعتبارها نهائية. إن رأياً قوياً متصاعداً في المؤسسة التركية الحاكمة يرى أن عدم مشاركة تركيا في الحرب الى جانب التحالف الأميركي بشكل مباشر وأوسع من مجرد السماح باستخدام القواعد الجوية التركية، سيحرم تركيا في المستقبل من حق المشاركة في رسم خارطة المنطقة الجديدة. ويرى أصحاب هذا الرأي ضرورة قيام تركيا بدور واضح وعلى الارض في المجهود الحربي للحلفاء. وقد يصبح هذا الخيار أكثر إلحاحاً ان قام العراق بتسديد ضربات انتقامية لتركيا جراء سماحها باستخدام الأميركيين لقواعدها الجوية، أو أن تعثرت الحملة البرية على العراق وأصبح ضرورياً أن تفتح الجبهة التركية لتشتيت المجهود الحربي العراقي. ان حدوث مثل هذا الأمر سيؤدي بشكل شبه مؤكد الى تصاعد الضغوط داخل ايران للمشاركة في القتال اذ أن الامر آنذاك سيصبح فعلاً، وعلى الارض، هو مستقبل العراق أرضاً وشعباً. ويتوقع حينها أن يتغير الموقف السوري كذلك، فدمشق لا تقل قلقاً تجاه الدور التركي عن طهران.

المسألة الأخرى التي قد تحدث متغيرات جوهرية في مواقف القوى الاقليمية هو التدخل الاسرائيلي، سواء بضربة انتقامية للعراق أو بدخول اسرائيلي للاردن بشكل مبادر ان طال أمد الحرب، سيؤدي ايضا الى تغيير في الموقف الايراني، وربما السوري كذلك. المسألة الثالثة هي أن تستمر الحرب طويلا الى مرحلة تستطيع فيها القوى الاسلامية الراديكالية في ايران كسب الرأي العام الايراني الى جانبها وتشكيل ضغط فعال، في الشارع ومجلس الشورى، لصالح دور ايراني نشط في الحرب قد يأخذ أشكالا مختلفة عن التدخل العسكري المباشر والتقليدي. وعلى سبيل المثال: أن تصبح ايران ممرا لتجمع وتحرك المتطوعين العرب والمسلمين لدعم العراق. أما موقف النظام المصري بالذات فيصعب تصور تغيير جوهري فيه بدون حركة شعبية قوية في الشارع، وهو أمر مازال متوقعاً.

٥ ـ الأداة العسكرية للتحالف الأميركي:

لا خلاف على أن الاداة العسكرية المحتشدة بقيادة الولايات المتحدة في شرق الجزيرة العربية تتفوق على الاداة العسكرية العراقية اذا أهملنا عامل الزمن وحيدنا كل العوامل الأخرى (القوى الاقليمية، التحالف، الشارع الاسلامي، الطقس...الخ). أي ان كانت الآلتان العسكريتان في مواجهة بعضهما البعض داخل مساحة من فراغ الزمان والمكان فالغلبة ستكون للآلة العسكرية الغربية. ولكن هذه الحرب لا تدور في فراغ خارج عن سياق التاريخ، والعوامل المؤثرة في المعركة أكثر من ان تحصى، وهناك بلا شك مبالغة هائلة في تفوق التكنولوجيا العسكرية الغربية التي لم تختبر في الحرب من قبل.

ويمكننا ان نلاحظ في هذا المجال عدة مسائل، منها أن التفوق الجوي الهائل للتحالف الاميركي في العدد والتقنية لم يأت بالنتائج المتوقعة منه بعد عشرة أيام متواصلة من القصف. فما زالت مقدرة القيادة العراقية على الاتصال الاستراتيجي بقطاعاتها العسكرية قائمة لم تمس. كما أن خسائر العراق في عتادها ذي التأثير المباشر في ساحة المعركة (أي الطائرات والاسلحة المضادة والدبابات والمخزون الكيماوي والصواريخ)، تعتبر حتى بمقاييس التحالف خسائر طفيفة. ولم تؤد آلاف الطلعات الجوية للتحالف الا الى خسائر في البنى التحتية الاقتصادية وربما العسكرية (مصانع مثلا) للعراق، وهذه لن تؤثر مباشرة في المعركة على مدى الشهور القادمة.

ان هذا المثال يستدعي شكوكا حول سرعة وفعالية الاسلحة البرية فائقة التقنية لقوات التحالف الأميركي، خاصة أنها صممت فعلا لملائمة الاجواء الاوروبية وليس لساحة حرب صحراوية في الخليج. واذا امتدت الحرب الى نهايات مارس (اذار) وبدايات ابريل (نيسان) حيث ترتفع درجة الحرارة بشكل ملحوظ وتهب العواصف الترابية، فان جزءاً كبيرا من هذه التقنية سيتعطل عن العمل أو يصبح أقل فعالية. وان كان الملاحظ حتى الآن أن معنويات قوات وقادة التحالف الغربي بدأت في الاهتزاز بعد عجز الهجوم الجوي عن ايقاع خسائر ملحوظة بالعراق، فان تعثراً للحملة البرية في مراحلها الاولى سيكون له أثر بالغ السلبية على معنويات هذه القوات. والمفارقة التي لابد أن لا تغيب أنه في حين يَعد العراق جنوده بالشهادة فان زعماء التحالف الغربي يعدون جنودهم بأنهم لن يزج بهم في معركة دموية، فيما كل الدلائل تشير الى معركة طويلة بالغة الدموية. يقف الى جانب قوات التحالف الغربي أيضا عشرات الآلوف من الجنود العرب والمسلمين الذين زج بهم زجاً الى ساحة الحرب، وسيجد هؤلاء أنفسهم قريباً في شهر الصيام الكريم والاوامر تصدر اليهم باطلاق النار على أخوة لهم، مسلمين وعربا، وسيكون لذلك أثر كبير يصعب قياسه والتنبوء به!.

المأزق الكبير: استراتيجية الحرب وأهدافها:

كل الحروب الكبرى في تاريخ الامبريالية الانغلو-أميركية تحمل سمتين رئيسيتين: الاولى انها تمد جغرافيا خارج كل نطاق متصور لها في بداياتها، والثانية، انها تتسع في أهدافها بين كل مرحلة واخرى من

مراحلها. امتدت الحرب الاولى لتصل الى نصف المعمورة وتراكمت اهدافها تدريجيا من هزيمة ألمانيا الى تفكيك الدولة العثمانية والامبراطورية النمساوية واقامة نظام عالمي جديد. وامتدت الحرب الثانية لكل المعمورة تقريباً وتراكمت أهدافها من حماية بولندا الى القضاء على النظام الالماني ثم الياباني والايطالي ثم وصلت الى مشاركة الاتحاد السوفياتي في اوروبا والعالم ككل، وانتهت سنوات الحرب الساخنة لتخلف وراءها أبشع حرب عرفتها البشرية وهي الحرب الباردة. وحدث الامر نفسه في فيتنام التي تحولت من حرب مستشارين محدودي العدد، الى معركة واسعة ضد فيتنام الشمالية، لتحبط في نهاياتها كل دول الهند الصينية، التي مازالت تعاني من آثارها حتى اليوم.

ولأن الحسابات الانغلو-الاميركية قامت منذ بداية أزمة الخليج على أن استسلام العراق سيتحقق بدون قتال، وبمجرد ظهور الأثر المرعب للحشد الاستراتيجي الغربي، فان التحالف الاميركي يسير اليوم نحو المصير نفسه الذي سارت اليه الحروب الامبريالية الانغلو-أميركية الكبرى السابقة. فما اندلعت نيران الحرب حتى أدركت لندن وواشنطن أن هدف ضرب المفاعلات النووية والصناعة والكيماوية العراقية و(تحرير) الكويت، لن يكون كافيا. اذ ان نهاية الحرب عند ذلك الحد، وبعد أسابيع من الصمود العراقي المذهل يعني خروج القيادة العراقية محاطة بثقل جماهيري هائل على طول المنطقة العربية الاسلامية وعرضها، وخروج الآلة العسكرية العراقية بنصف حجمها على الاقل، وهو حجم مازال ضخماً بكل المقاييس. وخروج الجيش العراقي بمعظم قواته سليما وبخبرة جديدة متنوعة.

والواضح منذ اليوم العاشر لاندلاع الحرب على المستوى الغربي شبه الرسمي، وبدرجة اكثر التواء على المستوى الرسمي، ان الرئيس العراقي أصبح هدفاً مؤكداً من أهداف الحرب، وان النظام العراقي ومستقبله هو هدف آخر. ونتوقع بمضي الحرب لعدة أسابيع اخرى، وتورط أطراف اقليمية اخرى فيها، ان تصبح وحدة أراضي العراق محل بحث. وربما يصل الامر في مرحلة تالية الى مستقبل الاردن - خاصة ان دخلت دولة العدو الصهيوني كطرف - وما قد يتبعه ذلك من آثار على الوضع الفلسطيني الرسمي وأوضاع الفلسطينيين في الضفة والقطاع.

ان رؤية الأمور على هذا المستوى ليس ضربا في الرمل، بل هو كما اشرنا مصير كل الحروب الامبريالية الكبرى من قبل، وهو أمر يخرج عن ارادة المخططين للحرب في معظم الأحيان. وحتى ان اقتصر الأمر عن المعلن رسميا حتى الآن وهو اتساع الاهداف لتطول النظام العراقي فان مأزق التحالف الغربي في هذه الحرب سيظهر أكثر واكبر فداحة مما يظن كثيرون. ذلك انه بعد صمود العراق لعدة اسابيع لم يعد ممكنا اسقاط نظامه كنتيجة لاهانة دحره من الكويت. واذا استبعدنا وسيلة الاغتيال الفردي أو الجماعي ضعيفة الاحتمالات، فان هناك طريقين رئيسيين لتحقيق هدف ازاحة النظام العراقي الحالي: الأول هو استخدام القنبلة النووية والثاني هو دخول قوات التحالف الغربي عميقاً الى قلب العراق. وهذا هو ما نسميه بالمأزق الكبير للافتراق بين استراتيجية الحرب المعتمدة حتى الآن وأهدافها التي يجري تراكمها بسرعة كبيرة. ان كلا الاحتمالين، السلاح النووي والدخول الى قلب العراق سيفجران حركة نهوض شعبي غاضب ومسلح داخل العراق وخارجه وسيخرجان الحرب من نطاقها الحالي المحدود الى نطاق لم يتصوره اي من أطرافها من قبل. أما اتساع أهداف الحرب الى مستوى تقسيم العراق أو ادخال العدو الصهيوني الى الأردن فسيؤدي الى وصول الحرب الى مستوى شبيه بالحرب العالمية الاولى مع افتراق جوهري وأساسي. وهو أن الحرب الأولى دارت فيما كان العالم الاسلامي يعاني من ثقل قرون من التراجع والتفكك والهبوط، أما هذه الحرب فتندلع بعد عقود من نهوض اسلامي كبير وشامل وقد وصل غضب شعوب المنطقة وعزمها على رفض الاهانة والاذلال الى وضع لم تشهده الجغرافيا العربية - الاسلامية من قبل.

هناك بالطبع خيار آخر أمام التحالف الأميركي، وهو القبول بتسوية للصراع قبل تحقيق الاهداف المعلنة للحملة والتحالف حتى الآن، تضع في حسابها تعقيدات المنطقة وقضاياها الكبرى وخاصة القضية الفلسطينية. وهو مايبدو ان الادارة الاميركية ترفضه وازدادت رفضا له بعد اندلاع الحرب لما قد يتركه ذلك من آثار على وضعها كدولة كبرى.

• • • •

المنطق الآخر الذي يصطدم مع المنطق العام لهذا التحليل يتصور انهياراً عسكرياً سريعاً للعراق في الحملة البرية، وعدم توسيع دائرة الحرب، وضعف احتمالات التحرك الشعبي العربي والاسلامي. وحتى اذا ذهبنا مع هذا التصور الى مداه فان من الصعب تصور نهاية الحرب بدون بقاء تواجد عسكري غربي في المنطقة. كما يصعب تصور قدرة الدبلوماسية الأميركية على ايجاد حل للمسألة الفلسطينية يرضي العرب والفلسطينيين والجانب الاسرائيلي في وقت واحد. وستبقى المنطقة، مثقلة بآثار قهر العراق في الحرب، تستشعر قهراً جديداً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. وفي حين ستصبح القوات الاجنبية في المنطقة هدفا لحالة الغضب الجماهيري فان الحاجة لهذه القوات ستزداد للحفاظ على «الامر الراهن الجديد» وعلى استقرار الانظمة الحاكمة الصديقة للمعسكر الغربي. فهل هناك تورط اكبر من هذه ينتظر الولايات المتحدة في المنطقة العربي؟!.

عن [قراءات سياسية]
العدد الأول - شتاء ١٩٩١

ردود فعل شعبية اسلامية وعالمية واسعة

تصاعدت ردود الفعل الشعبية على طول العالم الاسلامي وعرضه ضد العدوان الاميركي على العراق من الاردن الى الجزائر الى بنغلاديش وماليزيا. وكانت هذه الحركة الشعبية قد تراجعت تدريجيا بعد موجتها الاولى في اغسطس (آب) الماضي. ولدى الجانبين، العراق، والتحالف الاميركي، حساباته تجاه الحركة الشعبية في العالم الاسلامي والحركة المضادة للحرب في الدول الغربية. ومايثير قلق واشنطن بشكل خاص احتمالات تصاعد ردود الفعل في مدن الدول الاسلامية والعربية الكبرى مثل القاهرة واسطمبول وطهران وكراتشي والجزائر. وقد أصبحت القاهرة في الاسبوع الاول من الحرب محل مراقبة وزارات الخارجية الغربية جميعاً تقريباً، ليس فقط لدور القاهرة التاريخي ووزنها وانما ايضاً لأن مصر أحد الشركاء الأساسيين في التحالف الاميركي. وكان وجودها بالذات ما غطى هذا التحالف عربيا بشكل جزئي.

كانت الدلائل تشير جميعاً الى الحرب، ولكن اندلاعها في الساعات الاولى من فجر الخميس ١٧ يناير (كانون الثاني) حمل معه مزيجاً من التوقعات والآمال والمفاجئات. ومنذ اليوم التالي لنشوب الحرب، ورغم تقارير التحالف الاميركي المبالغة في تفاؤلها حول حجم التدمير الذي أوقعته في الآلة العسكرية العراقية، الا ان التحرك الجماهيري العربي والاسلامي انطلق بشكل واضح قبل وبعد صلاة الجمعة. ففي طهران تظاهر آلاف الطلاب في مسيرة داخل جامعة طهران ورددوا شعارات تعارض الحرب «وتدعو الدول الاسلامية لان تكون يقظة للوجود الاميركي في المنطقة». ورغم انقسام مسلمي بنغلاديش تجاه الحرب الا أن مؤيدي العراق خرجوا لشوارع دكا بالآلاف وهم يحملون صور الرئيس العراقي ويحرقون دمى على هيئة الرئيس الاميركي جورج بوش. وذكر شهود عيان أن عشرات الآلاف من الباكستانيين انطلقوا في شوارع كراتشي ومعظم المدن الباكستانية الأخرى. ماليزيا، وأمام تصاعد الغضب الشعبي حظرت الشرطة الماليزية القيام بمظاهرات مناهضة لحرب الخليج وشددت اجراءات الأمن حول سفارات الدول المشتركة في الحرب.

وفي دمشق ظهرت الشعارات المؤيدة للعراق على أسوار المنازل وهلل السوريون في الشوارع لهجوم العراق بالصواريخ على دولة الكيان الصهيوني. وتظاهر الآلاف منذ صباح الجمعة في شوارع العاصمة الجزائرية والمدن الجزائرية الأخرى. وظهر الشيخ علي بلحاج أحد أبرز زعماء جبهة الانقاذ الاسلامية بملابس القتال على رأس المسيرة الشعبية في الجزائر، في الوقت الذي اجتمع فيه رئيس جبهة الانقاذ د. عباس مدني مع وزير الدفاع للمطالبة بفتح معسكرات التدريب للمتطوعين الراغبين بالالتحاق بالجبهة العراقية. كما انطلقت المظاهرات الحاشدة التي قادها حزب الله المؤيد للجمهورية الاسلامية في ايران في العاصمة اللبنانية بيروت. كما سارت مظاهرات اخرى في عاصمة الشمال اللبناني طرابلس وفي صيدا في الجنوب حيث شاركت القوى الوطنية والتنظيمات الفلسطينية. وقال الشيخ أحمد الزين مفتي صيدا «للمرة الأولى في تاريخ العرب الحديث يضرب صاروخ للاسلام تل أبيب» ودعا الى «الجهاد ضد اجتياح الصليبيين الجدد». وشهدت العاصمة السودانية الخرطوم تظاهرات غاضبة رددت هتافات مؤيدة للعراق ومساندة له في معركته. ودعا بعض أئمة المساجد السودانيين للتطوع وتسجيل اسمائهم للجهاد. وذكرت مصادر السفارة العراقية أن أربعين ألفاً من السودانيين سجلوا اسماءهم للتطوع حتى صباح الجمعة. وفي مؤتمر جماهيري حاشد أعلن الفريق عمر البشير موقف السودان الرافض للوجود الاجنبي الذي يستهدف القضاء على القوة العربية وحماية الكيان الصهيوني. وفي اليوم نفسه شهدت معظم المدن الاميركية والاوروبية مظاهرات معادية للحرب كان ابرزها على الاطلاق تجمع أكثر من ٣٠ الف من الالمان عند بوابة براندبيرغ في برلين وهم يحملون شعارات معادية للأمبريالية الاميركية والحرب الدموية في الخليج.

في اليوم التالي تصاعدت المظاهرات في كل أنحاء الأردن الذي شهد مسيرات غاضبة طوال يومي الجمعة والسبت شاركت فيها معظم القوى الاسلامية والوطنية وذلك في الوقت الذي أعلن فيه البرلمان الاردني تأييدا قاطعا للعراق وشجبا للولايات المتحدة وسياساتها.

شهد مجلس الشورى الايراني (البرلمان) نهار السبت جلسة عاصفة بعد أن دعت مجموعة من النواب الى عقد اجتماعات حاشدة مناهضة للحرب وحذروا من ان القوة المتعددة الجنسية ستحاول اخضاع ايران بمجرد نجاحها في اخراج العراق من الكويت. وقال السيد علي اكبر محتشمي وزير الداخلية السابق في جلسة المجلس أنه سيكون من الخزي أن تختار ايران الوقوف ومشاهدة العراق وهويقاتل وحده. وقال «ان الخليج ودول المنطقة تحترق اليوم بالناروالدم اللذين خلفتهما الغطرسة العالمية بقيادة أميركا». وأضاف أنه «اليوم على الأمم الاسلامية في المنطقة وخاصة الأمة الايرانية واجب ديني هو أن تهب للجهاد في مواجهة قوى الالحاد الاميركية والصهيونية». وقال محتشمي انه يجب على الايرانيين أن ينسوا سنوات الحرب الثماني مع العراق واكد على «المسألة ليست مسألة الاحداث السابقة بين ايران والعراق. ان مشاة البحرية الأميركية والغزاة الغربيين جاءوا لتدميرآلة الحرب العراقية أولاً قبل ان يتحولوا الى الجمهورية الاسلامية». وقال آية الله خلخالي في الجلسة نفسها أن الهجوم على العراق لايهدف الى تحريرالكويت وانما ضرب الاسلام. وقال «يجب ألا نترك الشعب العراقي يقف وحده في هذه المعركة اذ انه لو خرجت الولايات المتحدة منها منتصرة فلن تترك المنطقة بسهولة». واقترح خلخالي «دخول ايران الحرب للقتال الى جانب الشعب العراقي.... فما يحدث في المنطقة عارلنا جميعاً ولن يقبل أي استهتاربالموقف». وقد انعكس انقسام الموقف السياسي في ايران بين دعاة الحياد ودعاة الانضمام العراق على الصحف الايرانية التي تراوحت مواقفها بين الطرفين. وقالت صحيفة كيهان الدولية

الايرانية الصادرة بالانجليزية انه «مهما كانت صفات الزعيم العراقي فان الموقف الايراني الرسمي بانتهاج الحياد اليقظ يبدو ورداً سيئاً ازاء الازمة الحالية لأن ايران ببساطة لا تزال على رأس قائمة الضرب الاميركية». وتساءلت الصحيفة «ماذا يعني الحياد الايراني في وجه عدوان اميركي ضخم على العراق المجاور».

برزت يوم الاثنين ٢١ يناير (كانون الثاني) شواهد جديدة على ردود الفعل الجماهيرية الاسلامية. ففي مصر نددت بيانات عنيفة من معظم أحزاب المعارضة المصرية والنقابات المهنية بالحرب و«العدوان الاميركي الغربي» على العراق. وانضم الى ساحة التحرك الشعبي المصري حزب التجمع اليساري الذي ساند سياسة حكومة مبارك تجاه الازمة حتى صباح اندلاع الحرب، كما بدا وأن عدة شخصيات مصرية بارزة وقفت ضد سياسة بغداد في السابق قد بدأت في مراجعة مواقفها بعد أن تبين أن الحرب تستهدف تحطيم بنية العراق الاقتصادية والعسكرية.

وشملت المسيرات الاحتجاجية وبيانات المعارضة للحرب المسلمين في الولايات المتحدة وبريطانيا. كما بدأت ردود الفعل الجماهيرية في باكستان وبنغلاديش في التحول الى العنف، اذ قام متظاهرون مسلمون في دكا بمهاجمة سفارات امريكا ومصر والسعودية ونادياً أميركياً ومدرسة سعودية. كما أدت مظاهرات سودانية عنيفة مناهضة للسياسة المصرية الى ردود فعل رسمية مصرية وجهت ضد الطلاب السودانيين المقيمين في مصر وضد اللاجئين السودانيين من العراق الذين رفضت سلطات القاهرة السماح لهم بالمرور بالأراضي المصرية في طريق عودتهم من الاردن للسودان.

في اليوم التالي - الثلاثاء - امتدت المظاهرات الى مسلمي جنوب افريقيا الذين تعهدوا باعداد جيش من عشرة آلاف لمساعدة العراق، كما آثارت دعوة بغداد لاعلان الجهاد استجابة واسعة في باكستان. وحظرت السلطات الباكستانية استخدام المدنيين للزي العسكري وصادرت الشرطة آلاف الملصقات من صور الرئيس العراقي وطلبت سائقي السيارات ازالتها عن عرباتهم. واعلن الجنرال السابق انصاري ان حزبه المعروف باسم جماعة علماء باكستان سيقوم بانشاء معسكرين لتدريب خمسين الف متطوع جندهم الحزب.

شهد الاربعاء ٢٣ يناير (كانون الثاني) تطورات جديدة على صعيد المواقف الرسمية في الجزائر والمغرب حيث سارعت حكومتاهما تحت ضغط شعبي هائل لاعلان تأييدهما للعراق. وأعلنت تنظيمات فلسطينية مقرها دمشق شملت الجبهة الشعبية (القيادة العامة) وحركة فتح (أبو موسى) تأييدها للعراق. ودعت القيادة العامة في بيان لها الى «التصدي للمصالح الاميركية من أجل وقف عدوانها وتهديداتها». كما نشرت صحيفة النيويورك تايمز الاميركية في اليوم نفسه تقريرا لمراسلها في القاهرة حول تصاعد التأييد الشعبي في مصر للعراق وبروز دور صحيفة الشعب الاسلامية الناطقة باسم حزب العمل والتحالف الاسلامي في حشد الرأي العام المصري ضد العدوان الاميركي. كما أفادت بأن الحكومة المصرية قررت تمديد اجازة منتصف العام للجامعات والمدارس العليا لاسبوع آخر خوفا من قيام مظاهرات يقودها الطلاب ضد العدوان على العراق.

في اليوم التالي - الخميس - برزت اشارات متضاربة على قوة الموقف الشعبي الاسلامي المؤيد للعراق، فمن ناحية رفض آية الله السيد علي خامنئي قائد الثورة الاسلامية في ايران نداء صدام لاعلان الجهاد وندد بالمسؤولين العراقيين قائلا «ان مافعلوه غير مبرر ويخدم اسرائيل واعداء الاسلام والاستكبار العالمي» في الوقت نفسه الذي اعرب فيه عن «قلق ايران العميق حيال مجزرة شعب العراق البريء الذي يتعرض لهجمات أميركا وحلفائها». ووصف خامنئي جورج بوش بأنه «قاتل يذبح شعباً بريئاً». وفي الوقت نفسه تصاعد التأييد للعراق في الجزائر، وقال الشيخ علي بلحاج من زعماء جبهة الانقاذ الاسلامية ان الجبهة ستمهل الحكومة الجزائرية حتى يوم السبت لفتح معسكرات التطوع والتدريب للشباب الجزائري والا فان الجبهة ستدعو للعصيان المدني، كما ظهرت امارات تأييد العراق على الجنود السوريين في لبنان، وبدا وكأن لبنان الاسلامي - سنة وشيعة - الذي عرف بمعارضته لسياسات الرئيس العراقي قد انحاز بأكمله للعراق. وفي الاردن اعتقلت السلطات الرسمية لعدة ساعات الناطق الرسمي لحزب التحرير الاسلامي بعد أن كرر في مؤتمر صحفي الدعوة لضرب المصالح الغربية في العالم الاسلامي.

وشهد يوم الجمعة ٢٥ يناير (كانون الثاني) موجة جديدة صاخبة - رافقت صلاة الجمعة - من التأييد للعراق والاحتجاج على الغزو الاميركي في الاردن وتونس والجزائر والمغرب، بل وبرزت في الاردن من جديد دعوات لاعلان صدام حسين خليفة للمسلمين.

ولكن، ورغم توتر الوضع في الشارع المصري إلا ان التحرك الجماهيري العربي - الاسلامي لم يصل بعد الى أرض الكنانة، مركز الثقل الاكبر للشارع العربي - الاسلامي.

كلفة الحرب والسلام في الخليج

اعلنت الكويت عن تقديم مبلغ ١٥ بليون دولار (١٥ ألف مليون دولار) كمساهمة منها في تحرير الكويت... اوبكلام أدق في تدمير العراق. واعلنت المملكة السعودية عن استعدادها لتقديم نصف ميزانية قوات التحالف الاميركي في الخليج والتي تقدر نفقاتها اليومية بأقل أو اكثر من بليون دولار يومياً (ألف مليون دولار). ولا تشمل هذه الارقام كلفة الدمار وتخريب البيئة وانهيار الاقتصاد واحتمال انفجار آبار النفط، اضافة الى احتمالات حصول معارك دموية قد تتطور الى حروب كيمياوية أو بيولوجية قد تؤدي الى عواقب وخيمة على الجنس العربي والشعوب المسلمة المجاورة لمنطقة الخليج.

ولا تقتصر كلفة تدمير العراق على الاقتصاديات العربية بل انها قد تؤثر نسبياً على اقتصاديات دول العالم التي تعاني اصلاً من جمود وتضخم وعجوز مالية، لذلك اقدمت واشنطن على الضغط على بون وطوكيو لدفع اقساط من هذه الحرب الملكفة وقد وعدت اليابان بدفع مبلغ يتراوح بين ٧ و٩ مليارات دولار، كذلك وعدت المانيا بتقديم مبلغ ثلاثة مليارات اضافة الى تقديم مساعدات عسكرية ومالية لكل من تركيا و«اسرائيل».

كل هذه المبالغ لن تكف لسد نفقات شهر واحد من الحرب الدائرة الآن ضد العراق لتدمير جيشه وشعبه. فقد قدر الخبراء الاقتصاديون أن تكاليف الشهر الواحد قد تتجاوز سقف الثلاثين مليار دولار (٣٠ ألف مليون) في حال استمرت المعركة في دائرة القصف البعيد المدى، اما اذا تطورت والتحمت الجيوش على الارض فان الكارثة الاقتصادية العالمية ستقع في حال نفذ كل فريق التهديدات التي سبق واطلقها قبل اندلاع القتال. ويرجح في هذا الصدد ان تقوم الدول الصناعية وخصوصا الدولة المشاركة في قوات التحالف برفع الضرائب على المداخيل وربما برفع الفائدة على العملات للمحافظة على ارتفاع اسعارها. واذا تم هذا الامر فان هناك جموداً اقتصادياً سيضرب العالم وسيؤدي الى انهيارات كبرى في عدد لايستهان به من الدول.

كل هذه الكوارث ومايزال الحديث يدور حول حرب قصيرة وخاطفة قد لا تطول أسابيع عدة أو فترة لا تتجاوز الشهرين. اما اذا خاب ظن القوات المتحالفة بقيادة الولايات المتحدة وامتدت الحرب الى شهور، كما اخذ يلمح بعض الخبراء، فان هناك كارثة ستصيب دول الخليج النفطية وليس فقط دول العالم الثالث والعالم الاسلامي. فاستمرار الحرب الى شهور يعني ان السعودية والكويت ودول الخليج ستدفع الكفلة المالية. وهذا يعني أن كل شهر يمر على الحرب ستضطر تلك الدولة الى تغطيتها بمبلغ ٣٠ مليار دولار (٣٠ ألف بليون). ويعني اذا استمرت الحرب لمدة سنة واحدة فقط أن الكويت ودول الخليج ستدفع لواشنطن والدول المشاركة في القتال مبلغ ٣٦٠ مليار دولار.

هذا المبلغ الفلكي لا يشمل الخسائر المادية والبشرية وخسائر العراق نفسه التي تقدر حتى الآن بعشرات البلايين من الدولارات. وكذلك لا تشمل المبالغ كلفة اعادة اعمار مادمرته الحرب والكوارث البشرية والبيئية التي ستنجم عنها.

ولا تكتفي الدول الكبرى بقيادة الولايات المتحدة، في اجبار دول الخليج النفطية على دفع ثمن حرب تدمير العراق بل انها تعمل جاهدة على قبض ثمن اعادة بناء مادمرته الحرب. وفي الحالتين شركات الغرب هي الرابح الاكبر ودول الخليج هي الخاسر الاكبر. ففي مرحلة الحرب استنزفت شركات الاسلحة الاف الملايين من الدولارات العربية المودعة في بنوك اوروبا والولايات المتحدة. وفي مرحلة السلم فان شركات الاعمار والمقاولات الاوروبية والاميركية واليابانية ستستنزف الاف الملايين من الودائع العربية في الغرب.

وتشهد أوروبا واليابان والولايات المتحدة سباقاً حامياً بين الشركات للتنافس على توقيع العقود مع الكويت والدول الخليجية لاعادة اعمار ما دمرته الحرب. وقد ذكرت تقارير الصحف عن وجود خلافات وصراعات حادة بين الشركات التي تتهافت على دول الخليج لكسب الالتزامات التي تقدر بالاف الملايين وهو أمر دفع رؤساء حكومات دول الغرب على زيارة المنطقة لعرض الحماية الامنية من جهة وتوقيع العقود من جهة اخرى.

ويمكن القول ان ما يحصل في الخليج هو أكبر عملية احتيال ونصب وسرقة في التاريخ الحديث. والأدهى من ذلك ان «تشليح» أموال دول الخليج النفطية يتم برضى تلك الدول ورغبتها في تأمين الحماية من الاجنبي وتغليب مصالحه على مصالح العرب والمسلمين والجار الجغرافي: العراق. وفي الوقت الذي تعاني منه الشعوب العربية المسلمة من الفقر والجوع والامية والديون فان دول الخليج النفطية توافق على دفع بليون دولار مقابل عمل يوم واحد تقوم به القوات المتحالفة. وفي الوقت الذي تعاني الشعوب العربية من ضعف في التنمية وافقار اجتماعي وتبعية سياسية وقهر على المستويات وتمنن على الشعب الفلسطيني بمبلغ ١٥٠ مليون دولار في السنة لا تتردد تلك الدول في ايداع أموالها في مصارف الغرب وتدفع البلايين في الشهر الواحد كبدل خدمات امنية وسياسية. واذا لا قدر الله واندلعت حرب كارثية في المنطقة ودمرت آبار النفط والمنشآت والمدن فمعنى ذلك ان كل الودائع التي تعود الى دول النفط العربية لن تكفي لاعادة تعمير ما دمرته الحرب بل قد تتحول دول النفط الخليجية الى دول مدينة تضطر الى رهن نفطها لمدة ثلاثية سنة مقبلة وباسعار بخسة وبحماية عسكرية اجنبية مدفوعة الاجر والثمن.

ويقدر الخبراء انه في حال استمرت الحرب لمدة سنة فان خسائر دول النفط من دول العراق ستبلغ قرابة الـ ٤٠٠ بليون دولار (٤٠٠ الف مليون دولار) وانها تحتاج الى ثلاث سنوات لاعادة تعميرها مجددا

بكلفة تزيد على الـ ٤٠٠ بليون دولار. أي أن الكلفة الاجمالية لعملية تحرير الكويت أو تدميرها مع العراق تقدر بـ ٨٠٠ بليون دولار لا تملك منها دول الخليج النفطية من ودائع فردية وحكومية سوى ٧٠٠ بليون. والنتيجة فان الامراء والملوك سيصابون بالافلاس ودول الخليج النفطية ستكون مدينة بأكثر من ١٠٠ بليون دولار وهو امر قد يجعلها من الدول الفقيرة نسبيا لا تستطيع الوقوف على قدميها من دون اذن من الدول الكبرى.

مقابل اي شيء حصلت وتحصل هذه الكارثة؟ اذا عدنا قليلاً الى الوراء وراجعنا مطالب صدام حسين قبل دخول العراق ارض الكويت نكتشف انها اقتصرت على ثلاث نقاط تعتبر بسيطة ومتواضعة امام الذي حصل ويحصل والمتوقع له ان يحصل.

لقد طلب صدام حسين كشرط لوقف الحملة على الكويت، تقديم مساعدة مالية لا تتجاوز ٣ بلايين دولار (اي اقل من كلفة ثلاثة ايام من الحرب الدائرة الآن)، واعطاء موقع اومنفذ له على البحر حتى يستطيع ان يرتب اتفاقية السلام مع ايران، واخيرا عدم التلاعب باسعار النفط حتى لا ترتبك خطة اعمار العراق ووقف استثمار آبار الرميلة لأنها تقع ضمن اراضيه.

واذا دققنا في مطالب صدام نعتقد انها ليست كثيرة من دولة تعتبر نفسها انها «قامت بحماية أمن الخليج ودافعت عن دوله لمدة ثماني سنوات». فمبلغ البلايين الثلاثة هو اصلاً تعويض لخسائر العراق الناجمة عن استغلال الكويت نفط الرميلة في مرحلة كانت بغداد منشغلة بحربها ضد ايران كما انها بدل ضائع عن خسائره الناجمة عن كسر اسعار النفط بعد وقف اطلاق النار مع طهران.

أما النقطة الثانية التي تتعلق برسم أو ترسيم الحدود البرية والبحرية بين العراق وايران فانها ليس كثيرة قياسا بما حصل. فعادة الدول التي تقع على البحر تعطي منافذ للدول التي لا تشرف حدودها على المياه وهذا ما يحصل بين الدول العدوة فكيف هو الامر بين الدول الشقيقة وخصوصاً ان الامر يتعلق بمسألة سلام أم حرب مع جارة أخرى هي ايران؟. فأين العيب والعار والذل اذا تنازلت الكويت عن أمتار أو أجرت العراق جزيرة لا قيمة لها للكويت بينما هي تتعلق بأمر حيوي واستراتيجي لدولة كبيرة وعزيزة مثل العراق.

والنقطة الثالثة والاخيرة تتعلق بالتنسيق النفطي وعدم اختراق سقف الانتاج بقصد كسر الاسعار لمصلحة شركات النفط الاميركية والاوروبية. وهذا مطلب بسيط وحق تنص عليه كل الاعراف والمعاهدات الاقتصادية بين الدول ويتم التعامل به بين مختلف الدول مثل السوق الاوروبية المشتركة وغيرها. فالتلاعب بالاسعار يعتبر عادة بمثابة اعلان حرب اقتصادية بين دولة واخرى وهو امر جر مرارا الدول الى حروب عسكرية مدمرة كما حصل بين الدول العربية الشقيقة.

طبعا كل هذا الكلام بات من الماضي بعد ان حصل ما حصل وتم تدمير ما دمر... الا ان امير الكويت يتحمل مسؤولية معنوية وتاريخية عن الكارثة التي حلت بالعرب والمسلمين وبالكويت والعراق بسبب سوء تقديره للمواقف ولأصول التعامل ليس فقط بين الاخوة والاشقاء بل ايضا لقوانين العلاقات بين الدول المتجاورة. فالمسائل ليس فقط مجرد «كرامة» و«شرف» و«اعراض» و«عناد» و«عنجهية» بل هي ايضاً فهم دقيق للعلاقات ولاصول التعامل واخلاق التفاوض وقراءة متأنية لموازين القوى وللمصالح المشتركة التي تقرّبها ابسط الدول.

فاذا كانت المسألة مسألة شرف وكرامة فنعتقد ان ما حصل للكويت والسعودية لا يشرف كرامة المسؤولين في الدولتين بعد ان تم اختراق الامن العربي بمئات الاف الجيوش واستبيحت الاراضي المقدسة ودمرت المنطقة وخصوصا الكويت والعراق. واذا كانت المسألة مسألة أمن وحماية فمن هو الاولى بحفظ الامن والحماية دولة العراق ام دول الغرب الصليبية. واذا كانت المسألة مسألة مال فأي كلفة هي أقل ثلاثة بلايين للعراق ام ٨٠٠ بليون لمصانع الاسلحة التي شهدت ازدهارا لم تعرفه حتى في حرب فيتنام، اولشركات المقاولات والبناء التي وقعت عقودا تكفي لتنمية المنطقة العربية ورفع شأنها كدول متقدمة اقتصادياً بين دول العالم اجمع.

حرب الخليج كشفت عن عداء تاريخي ضد العرب والمسلمين في المجتمعات الغربية

كنا نعتقد سابقاً ان نسب استطلاع الرأي العام المرتفعة هي عادة تمتاز بها الانظمة العربية لتزوير ارادة الناس ومواقفهم. وكنا سابقا نعتقد ان كل نسبة تتجاوز ٦٠ في المئة هي مزورة وذلك لتضليل الرأي العام وتغيير ارادته خدمة لاغراض هذا النظام العربي أو ذاك. وكنا سابقا نلجأ للمقارنة بين «ديمقراطية» الغرب و«ديمقراطية» الدول العربية للتدليل على مدى دقة الارقام في الغرب وكثرة التزوير في الانظمة العربية.

وبعد انفجار ازمة الخليج اخذت هذه الصورة تتبدل. فالغرب ايضا ترتفع فيه نسبة «وحدة الرأي» الى رقم خيالي يكاد يقارع الارقام العربية في الانتخابات أو في استطلاع الرأي العام. والفارق الوحيد بين الرقمين المرتفعين ان النسبة في الغرب صحيحة بينما هي في الدول العربية مزورة.

وبكلام أدق ان «التعدد» السياسي في الغرب ليس كبيرا بل هو يكاد يقتصر على وجهة نظر واحدة يضاف اليها اعتراضات بسيطة لانصيب لها في التأثير على مصدر القرار وموقفه مادامت المؤسسات في الدول الغربية (الاوروبية ـ الاميركية) تستطيع تدوير الموقف وتعديله

وفق مصالح الدولة العليا ويتحول «الرأي العام» الى مجرد شاهد زور يعطي الموافقة اويسحبها حسب ماتريد المؤسسات الحاكمة.

وهذا الامر يؤكد على نقطتين: اولاً، ان الديمقراطية في الغرب هي مجرد جهاز هلامي هدفه الاساسي تنظيم مصالح المجتمع وترتيبها سلميا في دائرة خدمة مصالح الدولة العليا. ثانياً، ان الجماهير في الغرب هي جماهير مصادرة لمصلحة الرأي الواحد الذي تبثه أجهزة الاعلام على أنواعها، اذ أنه في اللحظة الحرجة والمصيرية تتراجع الاعتراضات وتتقلص الاراء الاخرى ويتم تطويقها بركام هائل من النفاق والاكاذيب وهوالامر الذي يؤدي الى انطواء اصحاب وجهات النظر المضادة.

يضاف الى النقطتين المذكورتين مسألة خطيرة برزت في اوروبا والولايات المتحدة بعد انفجار ازمة الخليج وهي ذلك الاجماع المخيف ضد العرب والمسلمين والتمييز العنصري الواضح بين مجتمع ومجتمع وأبرياء وأبرياء ومسؤولية فرد ومسؤولية الجماعة.

وأخطر ما في المسألة أن الاحداث الاخيرة كشفت عن مرض عنصري في المجتمعات الاوروبية وعداء تاريخي مستحكم في الشارع ضد العرب والمسلمين وبغض النظر عما اذا كان هذا المسلم من العرب أو غير العرب أو اذا كان هذا العربي من العراق أو مصر أو المغرب أو اليمن أو فلسطين أو لبنان او الكويت. فالعداء ليس ضد سياسة بل ضد جنس بكامله هو العرب. والعداء ليس ضد نظام محدد بل ضد دين معين هو الاسلام.

وتدل ارتفاع نسبة العنصرية في الغرب في استطلاعات الرأي العام على أمر من أمرين: أما أن الارقام مزورة كما يحصل عندنا وهذا موضوع مستبعد، وأما أن هناك شبه اجماع على العداء التاريخي ضد العرب كجنس والمسلمين كدين وهذا الموضوع شبه مؤكد.

وعلى الرغم من انه قامت مئات المظاهرات الاعتراضية على «حرب بوش» أو «حرب النفط» في الخليج في عشرات المدن الالمانية والفرنسية والبريطانية والاميركية الا ان هذه التظاهرات لم تنعكس بقوة على ارقام استطلاع الرأي كما انها لم تنجح في اختراق او تعديل قرار المؤسسات الرسمية التي تعبر دائماً عن المصالح العليا للدولة.

نعود الى الارقام التي صدرت في بريطانيا والولايات المتحدة بعد اندلاع الحرب وظهور نتائج البيانات التي قالت ان الآلة العسكرية العراقية قد دمرت بنسبة عالية. لقد اظهرت تلك الارقام حماساً كبيراً للحرب وبلغت في بريطانيا ٨٠ في المئة يؤيدون الحرب ضد العراق و٨٢ في المئة في الولايات المتحدة. وأعرب ٦٠ في المئة من البريطانيين ان الكويت تستحق التضحية. وقال ٨٤ في المئة أنهم مرتاحون للسياسة البريطانية في الخليج، و٨ في المئة فقط غير مرتاحين و١٢ في المئة ضد الحرب و١٥ في المئة ضد ارسال قوات بريطانية الى الخليج.

وأعرب ٩٢ في المئة من جمهور حزب المحافظين انه يؤيد السياسة البريطانية، و٧٠ في المئة من حزب المحافظين يؤيد التضحية من اجل الكويت. وتقل نسبة الحماس في حزب العمال اذ اشارت الارقام ان ٤٨ في المئة من جمهور الحزب المعارض يؤيد السياسة البريطانية في الخليج. وحصل شبه انقسام بين الرجال والنساء في بريطانيا اذ بلغت النسبة ٧٠ في المئة وسط الرجال و٥٠ في المئة وسط النساء من ناحية تأييد الحرب ضد العراق.

هذا في بريطانيا. أما في الولايات المتحدة فقد تشابهت الارقام نسبيا. فلقد أجمع ٨٢ في المئة على تأييد الحرب. وقال ٣٧ في المئة انها ستطول الى عدة أشهر. ورأي ٢٧ في المئة ان الاف الضحايا ستسقط في الحرب. واعتبر ٦٦ في المئة من الشعب الاميركي ان بوش على حق في اسقاط صدام حسين. وارتفعت شعبية بوش الى اعلى نسبة في تاريخ الولايات المتحدة بعد اندلاع الحرب وتجاوزت شعبية الرئيس الاسبق جون كنيدي.

والملفت للنظر في استطلاع الرأي العام الاميركي ان هناك انقساماً عنصرياً (البيض والسود) في تأييد الحرب اورفضها على غرار الانقسام الجنسي (مرأة ورجل) في بريطانيا، فقد اشارت الارقام ان ٧٥ في المئة من البيض يؤيدون الحرب وتنخفض النسبة الى ٣٨ في المئة عند السود.

وعلى الرغم من ان هذه الارقام استندت على نتائج الايام الثلاثة الاولى من اندلاع القتال الا انه يتوقع ان تتغير النسب في حال طالت الحرب وازداد عدد الضحايا المعلن عنها. ويجب ان نلاحظ ان الارتفاع والانخفاض في نسبة المؤيدين ليس له علاقة بمدة الحرب وعدد الضحايا فقط بل له علاقة بكلفتها الاجتماعية والمالية ايضا اذا يتوقع ان تزداد روح الكراهية والعداء للاجنبي في اوروبا واميركا عندما تقدم الدول الاطلسية على رفع الضرائب ومعدل الفائدة لتوفير المال وتغذية آلة الحرب. وفي حال حصوله سيؤدي الى انخفاض نسبة المؤيدين للحرب وارتفاع نسبة الكراهية والعنصرية ضد العرب والمسلمين لان «الاعلام الديمقراطي» سيحمل هؤلاء مسؤولية الازمة الاجتماعية. ويعني هذا الامر ان المصيبة واقعة لامحالة في الحالتين: فعندما تكون نسبة المؤيدين مرتفعة فان التوتر العنصري سيكون محدودا لان الكلفة البشرية والمالية قليلة بينما وضع العراق سيكون صعبا. وعندما تصبح نسبة المؤيدين قليلة فان التوتر العنصري سيزداد لان الكلفة اخذت ترتفع وبدأت تنعكس على العلاقات بين الاكثرية والاقلية في المجتمع الغربي.

طبعا كل هذا يمكن رهنه بمعدل نجاح قوات التحالف في مهمتها أو فشلها، وكذلك يتعلق الامر الى حد كبير بقدرة العراق على الصمود ونجاحه في السيطرة على ارض المعركة.

ولاشك ان صمود العراق ونجاحه في احداث خسائر في صفوف قوات التحالف الاطلسي في الخليج سيساهم في تعديل الارقام وخفض

نسبة الحماس والمؤيدين للحرب. وقد يترك هذا الامر سلبيات عنصرية في دول الغرب الا انه سيزيد من نسبة الاختلاف بين المرأة والرجل وبين حزب المحافظين وحزب العمال في بريطانيا، وكذلك سيزيد من نسبة الصراع العرقي بين البيض والسود في الولايات المتحدة.

وأخيرا نقول انه مهما كانت نتائج الحرب ـ الكارثة في الخليج فان مسؤولية وقوعها تتحملها المؤسسات الحاكمة في اوروبا والولايات المتحدة وكذلك يتحمل مسؤوليتها الرأي العام والشارع والاحزاب على انواعها في الغرب اذ كشفت الارقام عن وجود كمية مرتفعة من العداء والعنصرية والكراهية وحب القتل والعدوان.

اغتيال القائد الفلسطيني صلاح خلف «أبو أياد»

شهدت العاصمة التونسية مساء الاثنين ١٤ يناير (كانون الثاني) حادثة اغتيال كبرى أعادت الى الذاكرة الفلسطينية اغتيال أبو جهاد على يد قوة اسرائيلية في ١٩٨٨. سقط في الحادث اثنان من اعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح هما صلاح خلف (أبو أياد) الرجل الثاني في الحركة بعد ياسر عرفات، وهايل عبد الحميد (أبو الهول) مسؤول أمن فتح والى جانبهما أبو محمد العمري الذي قيل أنه مرافق شخصي لأ بي أياد.

ارتكب الحادث شخص يدعى حمزة عبد الله أبو زيد الذي ذكر انه كان يعمل في طاقم حرس هايل عبد الحميد طوال الشهور القليلة الماضية. وحسب صحيفة القدس العربي (١/١٦) قال أبو زيد «كان يعمل في حركة فتح (المجلس الثوري) التي يقودها أبو نضال. ونفى المسؤولون في المجلس الثوري في بيروت أن يكون أعضاء مجموعة أبو نضال... قد تورطوا في العملية وقالوا أن جهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) هو الذي نفذ عملية القتل». وكان القاتل قد احتجز زوجة وابنة أبو الهول كرهائن في منزل الاخير في محاولة للهرب من سلطات الامن التونسية والفلسطينية التي استطاعت في النهاية القاء القبض عليه.

المراقبون للحادث لاحظوا ان هدف الاغتيال الاول كان على مايبدو السيد صلاح خلف، اذ ان مرتكب الجريمة كان حارسا لهايل عبد الحميد وكانت فرصته في اغتياله دائماً متوفرة الا أنه انتظر حتى اجتمع الرجلان.

ورغم وزن «أبو أياد» الكبير في فتح ومنظمة التحرير الا أن اغتياله والسيد عبد الحميد مر سريعاً وسط الاحداث الكبرى التي تجتاح المنطقة، بل ان البعض رأى في الاغتيال ذاته وجها آخر من مخططات مستقبل المنطقة العربية بعد حرب الخليج او أن أزمة الخليج سببت الحادث. فان كان لدى بعض العواصم الغربية تصورا لانهاء دور منظمة التحرير في منظمة التحرير في الساحة الفلسطينية، فان أقصر الطرق هو تصفية قيادات «م.ت.ف» التي تحوز على قدر واسع من التأييد داخل المنظمة. وفي حين يرى البعض ان دور السيد عرفات قد انتهى مهما كانت نتائج حرب الخليج، فان غياب صلاح خلف يعني انه لم يعد هناك بين قيادات «م.ت.ف» من يستطيع الحفاظ على وحدتها في المرحلة القادمة. وجهة النظر الاخرى تسير الى أن خلف ابدى بعض التحفظات على سياسة عرفات المؤيدة بشكل كامل للعراق. وكان أبو أياد نشر في ١٥ يناير (كانون الثاني) أي في الصباح التالي لاغتياله حديثا مع صحيفة «لاكروا» الفرنسية قال فيه «لا أريد أن تكون قضيتي مرتبطة بتدمير المنطقة العربية، نحن موجودون حقيقة بين نارين».

ولد صلاح خلف في ٣١ اغسطس (آب) في مدينة يافا، التي غادرتها عائلته مهاجرة الى قطاع غزة بعد نكبة ١٩٤٨. وبين انهائه لدراسته الثانوية وحتى ١٩٥٩ عمل خلف لفترة كمدرس في مدارس وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة. وكان آنذاك عضواً نشطاً في فرع حركة الاخوان المسلمين الفلسطيني في قطاع غزة. والمعروف أن مؤسسي حركة فتح في معظمهم كانوا من قيادات الاخوان في تلك المرحلة بما في ذلك المرحوم أبو جهاد، وأبو الأديب (سليم الزعنون)، والمرحومان محمد يوسف النجار وكمال عدوان.. وآخرون كثر.

غادر صلاح خلف قطاع غزة الى الكويت في بداية ١٩٥٩ حيث عمل مدرساً في مدرسة ثانوية، وكان ذلك العام شهد أيضا بداية الانشقاقات في صفوف الاخوان الفلسطينيين الاولى حول اسلوب العمل الوطني والنشاط المسلح. وتحرك الجناح الداعي الى جبهة عريضة والى اعتماد الكفاح المسلح نحو تشكيل مجموعات حركة فتح الاولى. ورغم ان قيادات فتح الاساسية لم تكن قد غادرت جميعها تنظيم الإخوان المسلمين الا ان هذا الخروج قد تأكد بعد صيف ١٩٦٢ الذي شهد ولادة التنظيم الفلسطيني الاخواني الموحد لأخوان قطاع غزة والمهجر (اذ انضم اخوان الضفة الغربية لتنظيم الاخوان الاردنيين).

بالغت بعض قيادات فتح فيما بعد في العداء للاخوان وللاسلام بشكل عام خاصة بعد ١٩٦٧ عندما برزت فتح كأكبر التنظيمات الفلسطينية واستطاعت استلام قياد منظمة التحرير. وفي بعض الاحيان جاءت المبالغة الفتحاوية في اظهار العداء للاسلام محاولة منها في التخلص من تهمة الانتماء القديم للاخوان التي وجهتها لها اجهزة الامن العربية والناصرية بشكل خاص. وشيئاً فشيئاً تحولت هذ المحاولات الى سياسة ثابتة للحركة، حتى أن صلاح خلف رحمه الله

أصبح في وقت من الاوقات ـ منذ منتصف السبعينات ـ رمز اليسار الفتحاوي صاحب الصلات الوثيقة بموسكو.

وقد لوحظ في هذا المجال ان صلاح خلف انكر في كتابه «فلسطيني بلا هوية» انه تخرج من جامعة الازهر مع أن ذلك حقيقة يصعب نفيها. وقد شاع انه نال درجة الفلسفة من دار المعلمين في القاهرة في ١٩٥٧، في حين انه حصل على ليسانس العلوم الاسلامية والعربية من الازهر الشريف. ترك خلف عمله في الكويت بعد هزيمة ١٩٦٧ وتفرغ بالكامل للعمل في حركة فتح التي حافظ داخلها على موقعه كعضو في اللجنة المركزية منذ مؤتمرها الاول. وبعد الخروج من الأردن في ١٩٧٠ أشيع ايضا ان صلاح خلف هو المسؤول عن منظمة «أيلول الاسود» التي استمدت كوادرها من حركة فتح ونشطت في مجال العمليات العسكرية خارج فلسطين المحتلة. وكانت عملية اغتيال المنظمة لوصفي التل رئيس وزراء الاردن في القاهرة في ١٩٧١/١١/٢٨، والهجوم على الفريق الرياضي الاسرائيلي في ميونيخ في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ أبرز أعمالها.

بعد الخروج من بيروت في ١٩٨٢ أصبح أبو أياد من رموز البراغماتية السياسية في «م.ت.ف»، بعد ان كان الرجل الذي أصدر الاوامر في صيف ١٩٧٦ بالتصدي للقوات السورية المتقدمة الى لبنان. وكان لخلف دوراً بارزاً في ترجيح الخط السياسي للمنظمة في اجتماعات دورة المجلس الوطني الفلسطيني الشهيرة في الجزائر في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨. وهي الدورة التي جاءت بالاعتراف الفلسطيني الرسمي بالكيان الصهيوني على أساس من قرارات الامم المتحدة. وأبو أياد متزوج وله ستة ابناء وكان يعد من أفضل خطباء فتح.

أما هايل عبد الحميد فهو من مواليد صفد في ١٩٣١. تلقى تعليمه في القاهرة والمانيا وكان من اعضاء فتح الاول. عمل حتى منتصف السبعينات ممثلاً للحركة في القاهرة، التي غادرها الى بيروت حيث اصبح عضواً في اللجنة المركزية لفتح منذ مؤتمرها العام الذي عقد في دمشق في صيف ١٩٨٠. كان قليل الظهور اعلامياً، ربما لان مسؤوليته الأولى تعلقت بجهاز الأمن التابع لفتح ومنظمة التحرير. متزوج هو الآخر وله ثلاث بنات. وخسارة الرجلين هي بلاشك من اكبر الضربات التي وجهت لفتح ومنظمة التحرير في المرحلة الاخيرة.

النـــظـــام الــدولي الجـديــد وأثــره على الــوضــع الــعــربــي والاسـلامــي

[نص كلمة الاستاذ عادل مهدي في مؤتمر لجنة فلسطين الاسلامية السنوي الثالث المنعقد في مدينة شيكاغو الاميركية في نهاية ١٩٩٠]

بعد صعود غورباتشوف والاعلان عن سياسة البيروسترويكا وظهور التحولات في الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية وما أعقب ذلك من تفكك حلف وارشو، وإنهيار في النظام الشيوعي وقيام المانيا بفرض وحدتها رغم كل عوامل العرقلة والتعطيل.. بعد هذه التحولات الكبرى فان الجزء الأهم من نتائج الحرب العالمية الثانية يكون قد إنتقل من عالم السياسة الى عالم التاريخ مما فتح الابواب واسعة للكلام عن النظام الدولي الجديد.

فاخذت التحولات تطل برأسها في كل أطراف المعمورة نتيجة تخلخل العلاقة بين المعسكرين، أو بسبب اضطراب أدوار المراكز الغربية، أو لتصاعد المطامح التحررية الاستقلالية أو غالباً بسبب هذه العوامل مجتمعة. فتولدت بسرعة مناطق فراغ في إطارات النظام الدولي، وقامت في ساحات معينة طموحات جديدة أو صراعات من نوع جديد.. فتوالت الانقلابات في أفريقيا، وهزت آسيا واوروبا وأمريكا سلسلة من التغيرات العنيفة والهادئة.

وسط هذه الظروف ـ أو بسبب هذه الظروف ـ إندلعت أزمة الخليج في اكثر مناطق العالم حساسية وخطورة، فكانت بدورها مناسبة للاطراف المتصارعة للكلام عن النظام الدولي الجديد.

لكن الحديث عن النظام الدولي يتم عموماً بكثير من التبسيط و يتأثر غالباً بالموقع الذي يقف فيه المتكلم.

فالمحلل في الغرب، يعتبر الاتفاقات الاوروبية الجديدة اتفاقات عالمية، و يعتبر المآل الذي آلت اليه الكتلة الشرقية دليلا على صحة المنهج الغربي.

و يعتبر الكثير من المتأثرين بالمدرسة الغربية في بلداننا ان ما حصل، أي انتصار الافكار الليبرالية ونظام السوق الرأسمالية والوحدة الاوروبية المتحققة والمرتقبة وقيام عالم أحادي القيادة هو الحقيقة الاولى التي يجب البدء بها عند دراسة مستقبل المنطقة.

و يتكلم آخرون عن إنهيار النظام ذي القطبية الثنائية لمصلحة نظام متعدد الاقطاب، فيقولون ان الاتحاد السوفياتي سيعيد تنظيم نفسه خلال عامين أو ثلاثة، وان اوروبا الموحدة واليابان القوية اقتصادياً، اضافة لصعود قوى من اسيا، ومنها القوى الاسلامية، ستساهم كلها في اقامة نظام دولي متعدد الاقطاب والمراكز.

ان مثل هذه الاراء وغيرها، و بغض النظر عما يمكن ان تحويه من حقائق قد تنطلق من المشاهدة المجردة، فترى النتائج وتنسى الاصول، او إنها ترى المؤقت ولا تتعامل مع الشامل، أو هي تقف عند الجزئي ولا تتناول الكلي.

ولهذا ـ وقبل تحديد مستقبل النظام الدولي لابد من طرح بعض المرتكزات التي يقوم عليها هذا النظام لان الكثيرين يتغافلون عن حقائق اساسية فتخرج الاستنتاجات خاطئة أو غير كاملة.

اولا: يجب ان نزيل وهماً كبيراً اعتقد ان أغلبنا يتفق عليه، وهو ان النظام الدولي، منظوراً اليه من العالم العربي والاسلامي، هو اسم على غير مسمى. فلم يحمل صفته الدولية لانه يمثل التقاء الارادات الحرة لدول العالم، بل حمل هذه الصفة لان قلة من الدول الاستكبارية تجد ان مصالحها وكلمتها تمتد الى مساحات العالم والكون كله فتتحكم بتعسف واستغلال بمصائر الدول والامم الاخرى.

وعليه، فان مفردات المجتمع الدولي، والرأي العام الدولي والضمير الدولي تشير الى طغيان الجزء وتعميم نفسه.. وكذلك لا تعني المؤسسات الدولية انها وضعت لصالح عموم الدول.. بل هي تعمل ـ اولا وقبل كل شيء ـ لضمان مصالح دول وامم معينة في عموم الساحة الدولية وفي العالم والكون. بهذا الفهم يجب ان نرى منظمات كهيئة الامم ومجلس الامن وصندوق النقد الدولي ومنظمات دولية تهتم بالتجارة والتعليم والبيئة والغذاء وحقوق الانسان والعفو الدولية. فهذه المنظمات، ومهما حملت من اسماء بريئة او انسانية، الا انها في نهاية التحليل ـ وكقانون عام ـ جزء من التنظيمات والبنى

والادوات المادية والاخلاقية اللازمة لتشكل النظام الدولي بسمته المذكورة اعلاه، اي كنظام تهيمن فيه قلة من الدول والامم على مصائر الكثرة الغالبة من امم وشعوب العالم.

ثانياً: لحسن فهم النظام الدولي، في واقعه، ومستقبله، وما يهدد به الاخرين، اوما يفتحه من مجالات عمل تفيد حركة الامم والشعوب المستضعفة اومن مجالات اختراق تضعف قبضته عن رقبتنا لابد - على الاقل - من الوقوف قليلا عند المستويين اللذين يشكلان هذا النظام.

المستوى الاول: البنية التحتية للنظام الدولي، او القاعدة التي يقف عليها.

ان النظام الدولي على هذا المستوى ما هو سوى النظام الاستكباري الاستعماري الامبريالي. انه خروج الرجل الابيض والغرب لاستعمار العالم محطماً الحدود والقيود.

- مرة تحت شعار تحرير الاماكن المقدسة وما سماها بالحروب الصليبية وسماها اجدادنا عن وعي بحروب الفرنجة.
- ومرة تحت «شعار دعه يعمل دعه يمر»

Laissez faire laissez passer

محطماً كل الحواجز لتدمير الحضارات الاخرى، مستبيحاً كل القيم لاختراق الشعوب، ليبني في بيته اشد أنواع الحمايات والقيود على دخول العمل والبضاعة، بل وحتى الافكار.

- ومرة تحت شعار نشر الحضارة.. اوتحت شعار محاربة الارهاب والقضاء على بؤر التوتر ومنع تهديد الامن الدولي.

والنظام الدولي كما جرى في بناء التحتية - لا كما قدم الينا كخطاب - ما هو في النتيجة سوى إنتقال انظمة العبودية والقنانة من مستوياتها المحلية الى مستويات عالمية، ومن اطر فردية الى اطر جماعية بنيانية.. أي ان تستعبد امة امماً اخرى، ودولة دولا اخرى، وشعب شعوباً اخرى.

والنظام الدولي - على هذا المستوى، هو ليس التوسع التدريجي للحالة المحلية، اي هو ليس نتيجة لتمدد الغرب. بل ان النظام الدولي هو الشرط الاول لقيام الغرب بمعناه الاستكباري. فهو القاعدة اللازمة والضرورية لتوفير القدرة والقوة والرفاه الذي يتمتع به الغرب (او الشمال) على حساب فقر وضعف واستكانة الشرق (او الجنوب). فالغرب هو ليس الفريضة ليكون النظام الدولي نافلته، بل على العكس فان النظام الاستعماري الدولي هو الاساس، اذا انهار انهارت معه اوروبا والغرب الاستكباريين.

والنظام الدولي هو مجموع الشركات والصناعات والمصارف والبيوتات التي تخدم في النتيجة ما يسمى بالاقتصاد العالمي، او نمط الحياة الحديثة.. وهو الاعلام والصحافة الدولية، وهو الجامعات ودور التعليم ومراكز البحث ونظام القيم والمعايير والاخلاقيات وطرق العيش والاستهلاك التي تنتج بشكل قسري اوطوعي ما يسمى بالانماط العصرية للحياة، اوالرجل العصري والمرأة العصرية.

والنظام الدولي او الاستعماري على هذا المستوى ورغم قدراته المادية والتكنولوجية الهائلة يمر بمعادلة قاتلة يصنعها منطقه نفسه. انه نظام كمي مادي.. ليس فقط بما يؤمن به، بل أيضاً بمقومات عيشه واستمراره. فهو يلتهم من الماديات اكثر مما تستطيع بناه القاعدية اوقوى الانسان والطبيعة ان تنتجه. فلتلبية الحاجيات المتزايدة من سلع وخدمات هناك وعاء من الاعمال الضرورية والخامات الطبيعية التي يجب ان توضع لخدمة هذه المهمة. وان للالة وللتكنولوجية دوراً مساعداً.. انها تسرع العملية، تنظمها وتساعد على إتمام أعمال التحويل او التصنيع اونقلها اوغيرها من اعمال، لكن الالة لا تولدها. فما يضيع منها (أي قوى الانسان والطبيعة) لا يمكن سوى لقوى بشرية جديدة ولامكانيات طبيعية متجددة ان تعوضه.

لهذا عندما عمل اوغستين اصلاحاته المشهورة وطالبه بعض شيوخ مجلسه ان يحرر المرأة.. اجابهم ومن يعوض عن عملها المنزلي الذي كان عملا عبودياً، فاجابوه «الميتيك» اي الغرباء الارقاء. وكما في الماضي فان القانون هو نفسه، فان أي تقدم اوانجاز لتحقيق الرفاه والحرية للمواطنين الغربيين اولشرائح معينة منهم فان هناك شرائحاً وقطاعات مقابلة ومن الشعوب الاخرى يجب ان تقوم بخدمتهم وعملهم، أي ان تتولى اعمالا اضافية لسد النقص الحاصل لدى الطرف الاول. لهذا قال الامام علي (ع) «ما جاع فقير الا بما متع به غني». بل ان الغاء قوانين الاسترقاق في اوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ما كان ممكناً لولا نقل عملية الاستعباد لتفرض على كتل وعوالم كاملة صارت تسمى اليوم بالعالم المتخلف أو بالعالم الثالث.

اذا كان ما نقوله صحيحاً فان النظام الدولي هو نظام عدواني بالتعريف الاول الذي يقوم عليه، فهو لا يكتفي بالتهام حقوق ومكاسب وارض الاخرين، بل يلتهم ايضاً وبسرعة هائلة مقومات الحياة والتكاثر كما وضعها الله سبحانه وتعالى في الانسان والاشجار والمياه والهواء وما في الارض وما في باطنها وخارجها. وان كل النظريات التي قيلت منذ قرنين اوثلاث ولحد الان والقائلة بان تقدم التكنولوجيا والالة كفيل بسد هذا النقص اوبموازنة هذا الشرخ المدمر والخطير، كل هذه النظريات فندتها الحقائق الدامغة. وان كل المدارس الاقتصادية والبيئوية والاجتماعية - وبالذات الغربية منها - تتفق اليوم ان نظام الحياة بطموحاته وانماط استهلاكه، والذي فرضته الحضارة الغربية قد دخل طريقاً لا عودة فيه ولا شفاء منه يهدد الانسانية، بل يهدد الحياة على هذه الارض.

هذه الملاحظات - ودون الحاجة للتفصيل فيها - تشير بوضوح الى ان الالة ومهما تقدمت الا ان دورها يبقى محدوداً وملازماً لما يمكن ان يقدمه الانسان اوتستهلكه الطبيعة، اولما يسمح بتجديد دورة الانسان ودورة الطبيعة، بالشروط الفطرية اللازمة التي انشأها الله سبحانه وتعالى لهذه الحياة.

نتيجة ذلك ظهرت مقاومة واعية اوغريزية، - بما في ذلك في الغرب نفسه - للتصدي لهذا النظام ولايقاف دولابه المدمر. فتحققت نتائج منها تراجع الاستعمار بشكله السياسي، وان وعياً متزايداً يتشكل، ومقاومات عديدة تظهر هزم النظام الدولي في صلب بناه وادوات عمله الاقتصادية والفكرية والحضارية، تماماً كما هزم - من قبل - النظام العبودي اوالاسترقاقي على اصعدته المحلية.

ونستطيع ان نقول ان الخط العام للنظام الدولي سائر الى تفكك، وان علامات الضعف المختلفة التي اخذت تظهر على تركيبته هي امور يلمسها بسهولة كل مجاهد او مقاوم ذي حس سليم. وان تجديد الاستعمار او النظام الدولي لنفسه إن كان يشير في جانب منه الى تطورات تحصل في بنية هذا النظام، إلا انه يشير في جانب آخر الى إنهيار تدريجي لمقوماته واركانه.

من خلال هذه الرؤية نستطيع ان نفهم كيف إنهار الاستعمار البرتغالي والاسباني، ثم كيف إنهار الاستعمار الفرنسي والانكليزي وغير ذلك.. صحيح ان عملية التجديد كانت تأتي بقوة أشد بأساً وامكانية من التي كانت قبلها، لكن الاكثر أهمية في هذا السياق هو ان القوة الجديدة كانت تركب موجة التغيير وهي تحمل شعارات واهداف تضرب الجوهر العميق لمنطق الاستعمار والنظام الدولي مؤكدة ان هذا النظام امر غير طبيعي ولا يمكن ان يدوم، وان من يركب موجته سائر الى هلاك لا محالة.. وان مراجعة سريعة لسياسات الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، منذ العشرينات والى ما بعد الحرب الثانية، والتي مهدت لهما باحتلال دورهما لاحقاً كقوتين عظمتين تشير بوضوح الى صحة هذا الكلام.

بل ان هذه الرؤية وما سبقها - من ان المجال الدولي هو الاساس والبيت الاوروبي هو النتيجة - هي التي تفسر لنا لماذا انهارت الكتلة الاشتراكية، وبهذه السرعة وبالشكل المثير الذي حصلت فيه. وان الاسباب الاولى لانهيارها لا تعود اساساً لعوامل داخلية كما قد يبدو للوهلة الاولى. انه ليس انهيار النظرية ونظام الحزب الواحد والدولة المستبدة فقط. بل هو اولا - إنهيار نظام الامبريالية الاشتراكية. فهي لونجحت في تعزيز سيطرتها العالمية، فنجحت بالتالي في نقل ثروات امم اخرى. اضافة الى تلك التي استعمرتها منذ قرون وما بعد الحرب الثانية - لتصبها في مصلحة الامة الروسية لقبلت نفوس المواطنين الروس، النظام ولمجدته، كما تمجد الامم الغربية انظمتها، طالما توفر لها الرفاه والبحبوحة، رغم كل ما في هذه الانظمة من جرائم وفوضى وفساد.

فعندما اطلق خروتشوف تحديه عام ١٩٦٤ من ان الشيوعية ستتجاوز الرأسمالية قريباً وتحقق مستويات معيشة ارقى تقوم على تلبية الحاجة، فانه لم يكن يفكر انه سيحقق

ذلك اساساً عبر الالة الداخلية، رغم ان نتائج ذلك ستظهر على الالة الداخلية.. بل اخذ يفكر بذلك كمشروع ممكن لان عقدا الخمسينات والستينات شهدا حركات استقلال وتحرر جعلت الاستعمار يترنح، مما ولد الشعور لدى الامبريالية الاشتراكية الصاعدة من ان فرصة تاريخية جديدة قد فتحت لتوسع من جديد امبراطوريتها العتيدة، و بان صراعها مع الغرب ورفعها شعارات نصرة الشعوب سيجعلها البديل لاحتلال مواقع جديدة وقدرات وثروات جديدة تسمح لها بالتفوق على النظام الاستعماري والامبريالي الغربي. و بالفعل بدت المرحلة منذ الحرب الثانية والى نهاية السبعينات سنوات انتصار للاشتراكية، وتسابقت الدول التي سقطت تحت اسر هذا الاستعمار للتسمي بالاشتراكية و بالشيوعية، وظهرت عشرات الجمهوريات بما في ذلك في عالمنا العربي والاسلامي وهي تحمل هذه التسمية. بل ظهر اسم الاشتراكية والشيوعية جذاباً لقطاعات مهمة من الشعوب فقاتلت تحت راياتها الاستعمار الاخر، وتأسست احزاب عربية حملت متفاخرة اسم الاشتراكية والشيوعية واليسارية.

لكن الامبريالية الاشتراكية جاءت متأخرة، كما يبدو، وان الشعوب التي دافعت عن حريتها واستقلالها ضد الاستعمار الاخر كانت احرص على مقاومة هذا الاستعمار. وظهر بقوة شعار لا غربية ولا شرقية وهو الشعار الذي رفعته الحركة التحررية اولا، ثم اصبح الشعار الذي عرفت به الثورة الاسلامية. ثم جاءت الضربة القاصمة على يد المجاهدين الافغان في كفاحهم البطولي لطرد المستعمر الروسي، وهو ما قبر مشروع الامبريالية الاشتراكية. فصبت شعوبها غضبها على المؤسسات التي قادت هذا المشروع وهي الحزب والدولة والشيوعية. وهي مؤسسات كانت ستتوج با كاليل النصر لو نجحت الامبريالية الاشتراكية بتحقيق سيطرتها العالمية. وان غضباً مماثلا سيصب على رأس الانظمة الليبرالية كلما انحسرت امكانيات استعباد واستغلال الشعوب الاخرى، وان الثورات الطلابية، ثم الشعبية، في صيف عام ١٩٦٨ في اورو با ثم حركات المعارضة والتفكك في الولايات المتحدة في السبعينات، في أعقاب التراجع النسبي للاستعمار والهزيمة الامريكية في الهند الصينية، هي مؤشر لما يمكن ان يحدث، لو انهارت الامبريالية الرأسمالية خصوصاً في عالمنا الاسلامي.

إنطلاقاً مما تقدم، يهمنا ان نكرر رؤيتنا من ان النظام الدولي- على مستوى بناه القاعدية- يمثل حركة تراجعية وخطاً نازلا، وهذا امر مهم على المجاهدين والمقاومين ان يروه لينظموا حركتهم وطبيعة خطابهم واستعداداتهم.

المستوى الثاني: النظام الدولي في بنيته الفوقية

طالما يشار الى هذا المستوى عند الكلام عن النظام الدولي. انه الترتيبات الظرفية التي يصل اليها «الكبار» سلماً اوحرباً لادارة العالم.

باختصار، نستطيع ان نجد ثلاث مراحل في القرن الحالي.

١ - نظمت الحرب العالمية الاولى بنتائجها المعروفة سلسلة من السياسات والاتفاقات والمؤتمرات منها نقاط ولسن المشهورة ثم اتفاقيات فرساي، وفيما يخص العالم العربي والاسلامي اتفاقات سيفروسان ريمو واتفاقات سايكس بيكو. فظهرت عصبة الامم والتي عبرها نظمت اوضاع الدول الاخرى استقلالا او انتداباً اوولاية اوالحاقاً اواستعماراً. وبموجب الاتفاقات اعلاه جزئت الدولة العثمانية باعتبارها آخر مركز للخلافة الاسلامية وجزئت الامة العربية واعطي وعد بلفور..

٢ - اما بعد الحرب العالمية الثانية فقد نظمت مؤتمرات القاهرة وطهران و يالطا وبوتسدام، نظمت العالم تنظيماً جديداً يقوم على مفهوم الدولتين العظميين وتوازن الرعب النووي، وقيام الامم المتحدة، وتقسيم المانيا، وقيام دولة اسرائيل وسيادة الدولار (عبر اتفاقات بريتون وودز) وقيام موجة لانهاء الاشكال القديمة للاستعمارين البريطاني والفرنسي، ومنح المناطق المستعمرة دولاً مستقلة في الشكل، مقيدة في حركتها الاقتصادية والسياسية والفكرية.

٣ - المرحلة الحالية: قادت الانهيارات التي جرت في الكتلة الشرقية لمصلحة التيار الليبرالي واقتصاد السوق ثم تصاعد القوة الاقتصادية لاورو با، ووحدة المانيا ورغبة السوفيات في الدخول كمساهمين في المشروع الدولي عبر الاتفاق بعد ان فشل اسلوب الصراع، قادت هذه التحولات الى اعطاء نفس جديد للغرب و بالذات للولايات المتحدة، مما ولد نفسية هجومية تجاوزت الى حد ما نفسية الهزيمة التي منيت بها في الستينات والسبعينات، خصوصاً بعد حرب فيتنام وانتصار الثورة الاسلامية في ايران، فاخذت تتكلم بملء فمها لغة كلها غطرسة وتكبراً وعدواناً.. وهو الامر الذي جسدته بسلسلة من الاعمال الهجومية في غرينادا ولبنان والخليج و بنما والفلبين ونيكاراغوا.. وغيرها، بل هو الامر الذي تريد ان تستثمره الى اقصى الحدود عبر الحشد الهائل الذي يجري حالياً في الخليج واستحصال القرارات الدولية لتغطية استفرادها بالقرار الدولي.

بناء على كل ما تقدم، وعند اختزال الكثير من المسائل التفصيلية نستطيع ان نجرد خطين رئيسين يمكن ان ينظما رؤيتنا الاستراتيجية لهذه المرحلة:

ان النظام الدولي يعيش خطأ تراجعياً على صعيد بنيته القاعدية، لكنه ينظم خطاً هجومياً على صعيد بنيته الفوقية.

هذه النتيجة تدفعنا لابداء بعض الملاحظات:

١ - ان النظام الدولي على مستوى بنيته الفوقية لم يأخذ كافة ابعاده، اي انه بعد انهيار النظام القديم لم يتشكل كلياً كما يتصور البعض.. انه نظام في دور التشكل. وان الحالة الهجومية التي اشرنا اليها خصوصاً ما يقوم به، وما ينظمه حول ازمة الخليج، هو في رأينا احدى الوسائل لتعزيز المكاسب الاولى وصولا الى اعطاء هذا النظام صيغة نهائية وواضحة ومقبولة لكل الاطراف التي اصبحت لها كلمة- كل حسب حصته- في تقرير مصير الادارة الدولية. ولا يخفى على المجاهدين والقادة المسؤولين ان الاختراقات التاريخية التي تقوم بها الامم المستضعفة طالما تحصل في مثل هذه الظروف. اي ان الامة الاسلامية تستطيع إن هي تبنت سياسة جريئة، بعيدة عن الاستجداء، واثقة من نفسها وفكرها وحلولها، معبئة قوى الامة، تقوم على كسب الاصدقاء وتحييد الصف الثاني من الخصوم، لعزل الاعداء الكبار واسرائيل الذين هم مصدر الشر الكبير للعرب وللامة الاسلامية، تستطيع ان تحقق انجازات مهمة وكبيرة رغم كل النواقص والثغرات في اوضاعنا، بل بالذات ان مثل هذه السياسة، وهذا الجهاد هو ما سيسمح عملياً بازالة الحجم الاكبر من تلك النواقص والثغرات.

٢ - يجب ان نتذكر ان الاتحاد السوفياتي الذي كشف عن ضعف، بل عن انهيار اقتصادي واداري ما زال هو الدولة الاولى في العالم على صعيد عسكري بالاسلحة التقليدية واسلحة الدمار الشامل. ونحن نعلم ان مالك القوة العسكرية لن يستكين ولابد ان يبحث عن قدرة سياسية واقتصادية سلماً ان تمكن اوحرباً إن تعذر.

٣ - كشفت التطورات الجديدة عن صعود لقوة اورو با واليابان الاقتصادية بشكل خاص.. وداخل اورو با يجب اعطاء اهمية خاصة للتطورات التي جرت في المانيا. فنحن نعلم ان مالك القدرة الاقتصادية لابد ان يبحث عن قوة سياسية وعسكرية سلماً ان تمكن اوحرباً ان تعذر.

٤ - لم تلعب الصين دوراً دولياً واسعاً لحد الان.. ولكن دورها آخذ بالتزايد، ليس فقط لان ربع البشرية تسكن هناك، بل ايضاً لدورها المتزايد في توجيه الصراعات الاقليمية ولدخولها النادي النووي، ولتقدم دورها في صناعة الاسلحة وتصديرها دولياً.. لكن الصين ما زالت مترددة، وما زال الاخرون يخافون من حجمها وطاقاتها.

هذه العوامل على صعيد الاطراف الرئيسية في إدارة الوضع الدولي، اضافة الى العوامل المزمنة في بنية النظام الدولي تجعلنا نعتقد ان السمة الرئيسية للنظام الدولي تجعلنا نعتقد ان السمة الرئيسية لهذا النظام ستكون مزيداً من الفوضى والتناحر، وان التصالح والاتفاق الذي يبدو على السطح الان لا تدعمه عوامل ثابتة للاستمرار.. وان هذا التقدير تعززه ايضاً التطورات الكبيرة التي جرت وتجري في معسكر الامم المستضعفة والمظلومة، وفي مقدمتها خير امة اخرجت للناس، ومن هذه التطورات.

١ - انتصار الثورة الاسلامية في ايران وقيام الجمهورية الاسلامية مقدمة الدليل ان الاسلام ما زال يلهم الشعوب وهو ليس دين العبادات فقط، بل هو ايضاً دين المعاملات مصححة العلاقة بين السياسة والدين، وهو الامر الذي اريد تغييبه بعد حل الخلافة.

٢ - استمرار الانبعاث الاسلامي في كل ارجاء العالم وصعود قوى إسلامية الى مراكز

الصدارة والقرار في بلدانها، ونخص بالذكر الجزائر والسودان والاردن. وكذلك تزايد دور الاسلام المجاهد في الشارع الاسلامي وفي الانتخابات والمؤسسات والفعاليات ونخص بالذكر الحالة في مصر وتونس وتركيا والباكستان ولبنان والعراق وكردستان.

٣ـ صمود الانتفاضة الفلسطينية وتحولها الى ثورة ونمط عيش والى شكل إبداعي جديد للمرابطة والمجاهدة... وهذه بحد ذاتها من اعظم الاحداث التي تعيشها امتنا.

٤ـ نجاح الثورة الاسلامية في افغانستان في طرد اعظم واقوى جيش في العالم. وان قوى الجهاد الاسلامي ان لم تحقق هدفها المنشود في قيام الحكم الاسلامي، الا انها تحولت الى اهم قوة في البلاد، وان مستقبل افغانستان لا يمكن ان يتحدد الا عبرها وبموافقتها.

٥ـ تطور الانتفاضات والجماعات الاسلامية وتصاعد اعمال الدفاع عن الاسلام، كما في كشمير واذربيجان وطاجكستان وبلدان اوروبا الشرقية وبلدان الغرب عموماً.

٦ـ تعزز النزعات الاستقلالية والتحررية لدى شعوب وامم العالم.

إن إنتزاع المسلمين والعرب مكاسب تاريخية وتصحيح الوضع الدولي لصالحهم امر ممكن تماماً. صحيح ان الخصم ما زال مقتدراً وقوياً، ولكن تجربة الاعوام العشرة الماضية تبين ان ما يمنع من انتزاع المكاسب هو ليس قوة الخصم وليس عوامل الضعف المادي في صفوفنا، بل هو تعطل الارادة التي مصدرها ضعف التوكل على الله سبحانه وتعالى.. إذ حالما توفرت الارادة كما رأينا في فلسطين وايران ولبنان وافغانستان والجزائر وتونس والسودان، وفي غيرها، طالما توفرت الارادة فان الحجر قد صمد امام الرصاص، وان الدم قد انتصر على السيف، وان روح الشهادة قد هزمت اسرائيل وجيوش الاطلسي، وان صرخات الله اكبر التي تنطلق من قلوب الجماهير المسلمة الهادرة قد قلبت موازين القوى، ووضعت الامة من جديد على درب الجهاد والشهادة، طريق العزة والنصر، وما قد يتبع ذلك من توفير وسائل القوة والمنعة والاقتدار.

بل كشفت ازمة الخليج ان تحدي القوى الاستكبارية امر ممكن حتى لاولئك الذين سبق ووقفوا مع الاستعمار. فها نحن نشاهد رؤساء وملوكاً يشاكسون الارادة الامريكية و«الدولية»، وان هذا التحدي ـ بحد ذاته ـ امر مهم لرؤية الوهن الكبير الذي يعيشه النظام الدولي، ويبين ما يمكن ان يحصل لو تسلم القيادة قادة مسلمون مجاهدون ثوريون يعتمدون فعلا، لا لفظاً، على قوة الاسلام، وعلى قوة المسلمين، لا على المناورة، والشعارات، او على اوهام من قوة عسكرية او تكنولوجية سبق ان جربنا مثيلاتها مع الانظمة العربية في حروب سابقة.

النظام الدولي والمنطقة العربية والاسلامية

في هذا الاطار الدولي والشامل نقترب افضل لفهم التطورات الجارية في المنطقة العربية والاسلامية.

اولا: ان المنطقة مهمة للنظام الدولي على الاقل في اربعة امور:

أ ـ الموقع المتاخم لاوروبا والمحاد للاتحاد السوفياتي والمرتبط بافريقيا والممتد في عمق اسيا، بكل ما فيها من ممرات مائية وجوية وبرية ومصالح استراتيجية وسياسية واقتصادية وحضارية.

ب ـ فلسطين والارض من حولها، مهبط الديانات ونقطة التقاء الحضارات والتي لم يخطأ التاريخ مرة واحدة في تحديد اهميتها العالمية. اذ يكفي ان نعرف من يمسك بها لنعرف من يمسك العالم.

ج ـ الثروات الطبيعية، وخصوصاً النفط كسلعة استراتيجية لا غنى للعالم الحديث عنها. فخلال سنوات قليلة سيزداد اعتماد العالم اكثر فاكثر على النفط الذي تضم منطقة الخليج اكثر من ٧٠٪ من احتياطياته ناهيك عن الموجود منه في بقية بلدان العالم الاسلامي.

د ـ الاسلام كرسالة عالمية ترفض ان تكون مظلومة او ظالمة، معتدية او معتدى عليها. فهي بهذا عقبة اولى ورئيسية لاي مشروع يريد استعباد الناس. اذ استطاع الخط العبودي تحريف النصرانية فقيل ان روما رومنة النصرانية ولم تنصر النصرانية روما. وكذلك الامر مع اليهودية. واننا نجد ان احدى مفاخر الاسلام هي ان الاسلام استطاع ـ وفي احلك الظروف وعندما اخترقت الحداثة والعصرنة المسلمين في عقر دارهم وفي اعراضهم وعزتهم وكرامتهم ـ ان يبقى على مقاومته ورفضه للانخراط في المشروع الرأسمالي او الاشتراكي. وكم انتقد البعض ـ بما فيهم علماء يتكلمون باسم الاسلام ـ هذا الذي سموه جموداً في الاسلام وعدم قدرته على التكيف مع ما سموه بـ«تطورات العصر»، دون ان يعلموا ان هذا الرفض هو ما حفظ للامة البقية التي استطاعت ان تقاوم وان تمنع الحصار من ان يستكمل عملية التطويق الكامل، ليقضي على الامة والحضارة الاسلامية، كما قضى على امم وحضارات اخرى.. هذه البقية المؤمنة ومثالها الامام الخميني وحسن البنا وسيد قطب والمودودي والصدر وغيرهم من قادة وعلماء الامة، استطاعت استنهاض الامة وهو امر اقرب الى المعجزة منه الى الانجاز البشري. لذلك فالمنطقة وبسبب الطبيعة التي يجسدها الاسلام، مقصودة لاسلامها، وكلنا يتذكر اقوال قادة الغرب اثناء الحرب العراقية الايرانية وتبرير دعمهم للعراق متعللين بان النصر الاسلامي سيعني وقوف الجيوش الاسلامية على أبواب اوروبا.. وفي نفس الاتجاه نسمع اليوم كلام الغرب والولايات المتحدة والقائل بان فشل الولايات المتحدة من دحر العراق وتوسع الامر ليرتبط بفلسطين وبالنفط سيعني تهديد كامل المصالح الاستراتيجية للغرب في المنطقة.

ثانياً: كشفت ازمة الخليج، كما كشفت من قبل ما سمي بمسألة الشرق الاوسط عن طبيعة الدور الذي يمكن ان تلعبه المنطقة في النظام الدولي منظوراً اليه بالعين الغربية وما تقترحه فعلا من مشاريع على أرض الواقع.

ولتوضيح هذه المسألة نقول: اذا كان تشكل النظام الدولي غير ممكن ـ بناء على ما تقدم من الاهمية العالمية للمنطقة ـ بدون ربط المنطقة بالنظام الدولي او ارتباطها بدورته، فان مراكز القرار والقوة الغربية ستكون مخيرة بين اسلوبين لا ثالث لهما لاحتواء المنطقة.

أ ـ الاسلوب التفاوضي او الايجابي ويتضمن اعطاء حقوق ولو جزئية للمنطقة، لتساعد الفئات المتحكمة في بلداننا على ان تدير المنطقة لمصلحة الخارج، اي ان تحقق على الاقل ثلاثة امور هي:

١ ـ ان تضع للمنطقة مشروعاً يشبه المشاريع التي تضعها اليوم لاوروبا الشرقية، بل هي في حالة المنطقة العربية والاسلامية يكفيها ان تقبل باسعار للنفط تقترب من سعره السوقي الذي يوازي اسعار بقية انواع الطاقة فيباع حينذاك بما لا يقل عن ٥٠ دولاراً للبرميل.

٢ ـ ان تقدم حلا ولو جزئياً لمسألة فلسطين، خصوصاً وان جزءاً مهماً من القيادات العربية والفلسطينية قد قبل بحلول ـ بما فيها الاعتراف باسرائيل والغاء ميثاق منظمة التحرير ـ وهي حلول لا يمكن لاي صاحب مصلحة حقيقية في الغرب الا ان يشجعها ويقبل بها.

٣ ـ ان تعطى لاحدى الدول الاسلامية وجوداً ولو شكلياً في مجلس الامن او على الاقل في اطارات دولية كقبول تركيا في السوق المشتركة، او قبول دول المغرب وغيرها من اتحادات كاعضاء مراقبين في ما يقابلها من جماعات اوروبية او غربية، او غيرها من حلول تسمح للحكام عندنا للقول بانهم شركاء في الوضع الدولي وليس عملاء له.

١٢٠ ب ـ لكنه يبدو ان النظام الدولي اصبح من الضعف الى درجة، او ان النظام الدولي اصبحت تكاليف استمراريته مرتفعة الى درجة، او ان النظام الدولي يخاف الاسلام وصعوده الى درجة، نقول انه اصبح في وضع لا يستطيع معه التعامل مع المنطقة الا بالاسلوب القمعي والاخضاعي. اي ان هناك تراجعاً في وسائل الاخضاع والاحتواء. فالمنطقة قد حكمت منذ انهيار الخلافة والى السبعينات عن طريق تشجيع الفئات الحاكمة الداخلية، وتشجيع نمو طبقات عليا ووسطى تساعد على مسك الاغلبية المسحوقة. فقد اعطى النظام الدولي بعد الحربين الاولى والثانية المنطقة دولا واعلاماً واستقلالا. اعطاها جامعة للدول العربية. ولوح للمنطقة برغبته في كبح جماح اسرائيل ومنح الفلسطينيين حقاً في وطنهم. ثم مع صعود النفوذ الامريكي اعاد طريقة حساب النفط حسب الطريقة المعروفة بـ ٥٠٪ لكل طرف، وقبل ولو على مضض بزيادة اسعار النفط مما شكل دورة مالية اوجدت دولا متمكنة وفئات مستعدة للسيطرة بالعنف او

بالاغراء على بقية اطراف المعادلة الاجتماعية المحلية، والتي عبرها تجد المصالح الاجنبية حماياتها واستمراريتها.

اما الان فيدوان ازمة النظام الدولي وانهيار رؤيته فيما يخص مشروعه العالمي والخوف من الاسلام والحرص على إبقاء يد اسرائيل هي العليا وعدم السماح لاي دولة اسلامية بالتفوق عليها، اخذت تمنع من اعطاء حتى ذلك القليل الذي يسمح للعملاء بالحفاظ على عمالتهم، دون الكلام عما يؤدي اليه هذا الموقف من تصعيد وتفجر عوامل الغضب والثورة وانفلات قدرات ضبطها الداخلي، وهوما اخذ يسم الاوضاع في كل البلاد العربية والاسلامية.

ان النظام الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة يتعامل مع المنطقة باعلى درجات الاستهتار. انه يرفض اعطاءها ولوابسط المتطلبات، بل هو يأخذ بخناقها ليقطع عنها حتى نفس الاستمرار والحياة، وهذه امثلة سريعة.

- يطالبها ان تعطي كل شيء لاسرائيل، دون ان يطلب من اسرائيل ان تعطي أي شيء حقيقي مقابل.. فرأينا كامب ديفيد، ثم رأينا مسرحية المفاوضات الفلسطينية الاميركية والاعتراف باسرائيل.. بل وصل الرفض على هذا الصعيد الى حد قطع الحوار الاميركي الفلسطيني.

- تنظيم هجرة يهودية سوفياتية، وقريباً شرقية جديدة الى فلسطين.. سبقتها هجرة الفلاشا. وستصل الاعداد الى اكثرمن مليون مستوطن جديد..

- منع شعوب المنطقة من اختيار انظمتها، والويل لمن يفكر بطرح النظام الاسلامي او الشريعة الاسلامية.. وامثلة ايران والسودان ولبنان ومصر والجزائروغيرها، وبما تتعرض له من حروب وضغوط شاهدة على ذلك. بل ان اجراس الخطروالانذار تقرع لاي فوزيحققه المسلمون في ابسط تجمع اونقابة، حتى عندما يتم ذلك، كما هوالامر غالباً، باسلوب الانتخابات والتصويت، او كمايقولون بالاسلوب الديمقراطي.. ونذكرهنا المقالة الشهيرة التي كتبت في إحدى الصحف البريطانية بعد فوزجبهة الانقاذ في الجزائر القائلة بان «الديمقراطية جميلة، لكن الاصولية قبيحة» Democracy is beautiful, fundamentalism is ugly.

- مطالبتها التخلي عن أي مصدر للقوة. كما في حالة العراق اليوم.. وهي قوة تمتلك اسرائيل اضعاف اضعافها.

- انه يطالبها و يضغط عليها، لتخفيض اسعارنفطها. واذا ما اخذنا معدلات التضخم حالياً فان اسعار النفط تكون قد انخفضت عما كانت عليه قبل اكثرمن عقد. وهو كذلك يدفعها عن طريقة انظمة الاسعار وعمليات الاقتراض والديون الى تدميرزراعتها، وتحويل المنطقة الى ارض قاحلة فقيرة لا تمتلك حتى قدرة تسديد فوائد ديونها.. وهذا الامر لا ينجوا منه حتى اولئك الذين قبلوا بلعب ادوارخدمت الاستعمارفي مرحلة ما، ومثال العراق بعد الحرب مع ايران اوضح من ان يفصل هنا.

- انه يشن حرباً إعلامية وفكرية وحضارية سافرة وحاقدة وخالية من أي اسلوب اخلاقي على العقيدة الاسلامية. و يتعامل مع الاسلام بعدم احترام وبمقت شديد مشوهاً تعاليمه محاصراً انصاره، وان مثال المرتد رشدي وإثارة معارك الحجاب واحتواء الطوائف الاخرى وتأجيج مشاعرها ضد الاسلام كما في لبنان والهند وسيلان وغيرها تبين كلها الموقف الذي يتخذه النظام الدولي من الاسلام والمسلمين.

- وأخيراً فانه توج كل ذلك في العودة الى اساليب الاساطيل والاحتلال وإنزال مئات الالاف من الجنود في ارض الحجاز والجزيرة معيداً الاوضاع في المنطقة الى مطلع القرن العشرين عندما اضطرلاحتلالها لاعادة تنظيمها وفق خرائط جديدة.

لكل ما تقدم، لا نرى من آثار للنظام الدولي الجديد على المنطقة سوى توقع المزيد من العدوان. نتوقع ان يزداد انخراط المزيد من الشرائح التي كانت لا ترى الاسلام هادياً ومرشداً، ان تزداد انخراطاً في المشروع الاسلامي.. وان تزداد الشرائح التي كانت لا ترى الثورة طريقاً ان تزداد انخراطاً في المشروع الثوري.. ان الخصم بعناده وعجرفته وغباءه يساعد المسلمين ان ينجحوا في مشروعهم. فالخصم بسلبيته معلم من طرازاول يضع الناس على العتبات الاولى للاسلام والثورة.. كما ان الاسلام بطبيعته وتعاليمه وعلمائه القدوة وصبيته المجاهدين معلم ايجابي من طرازاول يمتلك كل المقومات لاحتواء الناس عبر خطاب مسؤول، رزين، يحرص على كل طاقات الامة.

فاذا كان الوضع الدولي يمثل خطاً تنازلياً على صعيد بنيته التحتية، واذا كانت حالة الهجوم التي يعيشها هي حالة ظرفية. بل هي معلم تفيد سلبيته على اندفاع الناس للاسلام والثورة فان شروطاً تاريخية تكون قد اجتمعت تنتظر الارادات المؤمنة لاستثمارها وصولاً الى وضع الامة على طريق النصر الالهي.

والله ولي التوفيق

نص الكلمة التي ألقاها الشيخ راشد الغنوشي في المؤتمر الاسلامي الأول حول قضية فلسطين المنعقد بطهران 4 , 5 , 1990/12/6

ما اجمل اللقاء بين المعاني العظيمة مثل قضية فلسطين وبين الرجال الفضلاء والنبلاء مثل هذا الجمع الكريم من العلماء المجاهدين والقادة الثائرين ممن باعدت بينهم انظمة السوء وقطاع الطرق وكلاء الطاغوت الدولي الامريكي الصهيوني.

وان يتم لقاؤكم ايها الثائرين على الطغيان الدولي المنعوتون من طرفه بممثلي الارهاب على اديم اول جمهورية اسلامية في عصرنا قد حققت تحررها وقطعها لحبال التبعية واستعلاءها وشموخها بالاسلام. وان يتظلل هذا الجمع بظلال الشهداء ناهلا من روح الامام العظيم الخميني رحمة الله عليه مفجر ثورة الاسلام، ثورة المستضعفين وان تنفسح لهذا اللقاء في شجاعة وكرم قاعات وزارة الخارجية باشراف مباشر ومشاركة فعالة من طرف اعلى مستوى قيادي فيها وزير الخارجية ورئيس الجمهورية وسماحة القائد علي خامنائي لا غرو اذن ان يتنزل هذا المؤتمر ضمن الاحداث والتحولات الكبرى في منطقتنا والعالم وان يبلغ من الحسن اوجا بعيدا في زمن الرداءة والاستطالة على امتنا ومقدساتها.

ايها الاخوة الثوار من كل قلبي اهنئكم على ثورتكم وبلائكم على اي جبهة كنتم ناقل اليكم اشواق تونس الخضراء وإكبار ثوارها لصمود كم رغم ما يلقاه شعبها الثائر من اضطهاد وعدوان على مقدساته وارواحه وارزاقه على يد اذناب الاستعمار ومخلفات الانحطاط.

فالسلام على الشهداء والمرابطين في ارض الاسراء والمعراج يكتبون بدمائهم الزكية مطلع كل شمس صفحات مشرقة في سجل الكفاح الاسلامي ومستقبل حضارة الاسلام. والسلام على شهداء الاسلام ودعاته حيثما كانوا. تحياتي ودعواتي وتبريكاتي الى الجمهورية الاسلامية الحبيبة شعبا وحكومة.

وحتى لا آخذ من وقتكم الثمين وانتم احوج اليه لانجاز مشاريعكم التحررية العظيمة اكتفي بتسجيل الملاحظات والافكار التالية دون ترتيب:

1 - ازكي معظم ما ورد في المداخلات التي سبقتني وخاصة مداخلة السيد فضل الله، كبير المنظرين والموجهين للجهاد الاسلامي المعاصر وخاصة في لبنان. كما اثني على معظم ما ورد في مداخلة الثائر الفلسطيني أحمد جبريل منوها بالتوجيهات القيمة لسماحة القائد السيد خامنائي والشيخ المجاهد مصطفى مشهور.

2ـ اما عن طبيعة المشروع الصهيوني الذي انطلق مؤتمركم من الاجماع على رفض وجوده وادانة كل مخططات التعايش معه والتسليم له ولو بشبر من أرض الاسلام، ومن ضرورة تعبئة الامة للجهاد الشامل لاستئصاله، فاني احدده كما يلي:

انه مشروع قومي غربي هيمني تغذى وتأصل في المواريث التوراتية التلمودية على غرار المشاريع الغربية التي تغذت من المواريث اليونانية والصليبية في نزوعاتها المادية الهيمنية. فلم يكن بناة المشروع الصهيوني ـ باي وجه ـ مؤمنين باليهودية حتى في صبغتها الحاخامية المحرفة بقدر ماكانوا براغماتيين يوظفون التراث اليهودي لتحقيق طموحاتهم القومية في السيطرة ضمن المخطط الغربي في الانتقام من الاسلام واستغلال ارضه ومنع نهوض امته ووحدتها. لان مؤسسي المشروع الصهيوني اللقيط غربيون النشأة والتفكير فقد كان ميسورا لهم حسن التعامل مع العقلية الغربية مستغلين ما لديهم من نفوذ مالي وانتشار واسع، مدرجين مشروعهم ضمن المفاهيم والمصالح والموازين الغربية، ولاقامة كيان دخيل في قلب العالم الاسلامي مشل لطاقاته مجهض لطموحاته النهضوية والوحدوية، فكان التحالف وتبادل المصالح والزواج الشيطاني والحرص الاسرائيلي المحموم بعد ان انتقل مركز الثقل الغربي من اوروبا الى الولايات المتحدة على التغلغل السريع في العالم الجديد حتى تظل اسرائيل الزوجة الوحيدة للمصالح الغربية بزعامة الولايات المتحدة. ولقد بذل الصهاينة و يبذلون اقصى جهدهم لا فقط لافشال قيام اي قوة اقليمية في المنطقة مستقلة عن الغرب بل حتى لقيام قوة اقليمية متحالفة مع الغرب اوحتى تابعة له اي ظهور زوجة ثانية كما حاول ذلك شاه ايران وتحاول ذلك اليوم مصر مبارك على خطى مصر السادات. ولا شك ان دور الفكر والاعلام والمال والنفوذ اليهودي المنظم في اوربا منذ عهد النهضة والاصلاح في تطوير الثقافة والنفسية والبنية الغربية عامة في اتجاه التطبيع مع اليهود وتذويب الحواجز وضروب الرفض ازاءهم ، جهود جبارة حتى امكن بلورة مفهوم الحضارة المسيحية اليهودية في اعقاب قرون طويلة من التحقيرلهم وتجريحهم واضطهادهم، كل ذلك مع حرص اليهود على المحافظة على هويتهم وتدمير هويات الشعوب الاخرى او اعادة تشكيلها. المشروع الصهيوني اذن هو تكثيف للمشروع الغربي في توجهاته المادية الالحادية ونهمه الى التوسع والسيطرة ومعاداته لكل ما هو الاهي خلقي انساني، انه المشروع الشمولي المقابل والمعادي بالكامل للمشروع الاسلامي الالاهي الانساني لتنظيم حياة البشرية، الامر الذي يفرض على حملة المشروع الاسلامي وهم وحدهم من تبقى في ساحة المقاومة ضد المشروع الغربي الصهيوني في جميع ابعاده الفلسفية والحضارية والسياسية، ان تكون مقاومتهم شاملة ونفيرهم عاما تماما لتعميق وتأصيل وتوسيع مجالات المقاومة ضد المشروع السامري التدميري للحضارة، للاسرة، للدين، والفن الرفيع، حتى يحدث ذلك استقطابا ايديولوجيا وحضاريا وسياسيا يعيد تقسيم العالم وتصنيفه بين انصار هذين المشروعين. وكما دخل في الدين الغربي الصهيوني (اي الحضارة الغربية) حتى من ليس منها في الاصل من شعوب وافراد بفعل التفوق التكنولوجي الاعلامي المنتظر ان يدخل في دين محمد عليه السلام خلاصة رسالات السماء سواء بالمعنى العقدي ـ اي الانتماء للاسلام ـ او بالمعنى الحضاري ـ أي قبول استنارة وحتى خضوع النشاط المادي للانسان الى معايير خلقية منزلة ـ وبعض ذلك حاصل اليوم وسيتكثف الاستقطاب والصراع بين هاذين المشروعين على كل ساحة وفي كل ميدان.

3ـ البعد الفلسفي الحضاري لرسالة تحرير فلسطين اولمركزية القضية الفلسطينية: واذا كان المشروع الصهيوني هو الغرب مكثفا بكل ابعاده الفلسفية والمادية الحضرية والسياسية البرغماتية المؤلهة للربح واللذة والسيطرة والاقتصاد وطرد كل عنصر غريب من خلق ودين ومعنى رفيع من تنظيم المجتمع الا ان يكون ذلك من مقتضيات مصالح السيطرة والربح لا لانه في حد ذاته حق واصيل ومبدئي، واذا كان هذا المشروع الصهيوني الغربي مشروعا كونيا لتحويل البشرية الى قطيع يساق من طرف الهيكل الثاوون وراء مكاتبهم الفخمة في البنوك الدولية والشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات الاعلامية العملاقة ومراكز البحوث واركان الحرب والمخابرات لا هم له غير الاشباع الغريزي المحموم بلا ضابط ولا رابط عن دين وخلق ووطن ولا عائلة ولا قبيلة. اذا كان هذا المشروع الصهيوني على هذا النحو وكان قد نجح الغرب في غرزه خنجرا في قلب امتنا يعمل فيها تفتيتا وتدميرا واجهاضا، وكان المشروع الاسلامي هو النقيض وهو الامل في انقاذ الحضارة البشرية من سيطرة السامري، عبدة العجل الذهني، اذا كان الامر كذلك فان مشروع تحرير فلسطيني من الغدة السرطانية اليهودية يكتسب اهمية قصوى وخاصة لبا في سياق التحرر العالمي. اذ تغدو هذه المهمة مشروعا شاملا لتحرير الانسانية الرازحة تحت وطأة هذا الحلف الاثيم الامريكي الصهيوني في ماديته وعدوانيته وسائر ابعاده الفلسفية والخلقية والاقتصادية والدينية المعادية على كل ما هو انساني. فليس الامر مجرد تحرير رقعة جغرافية من محتل دخيل ولا هو امر سلاح وحرب فحسب، وانما الخطب افدح والرسالة اعظم، انها ضرب العدو في صورته المكثفة وفي مركزه الجديد (فلسطين) وسط العالم وفي قلب امتنا وفي اخصب موقع روحي واستراتيجي دولي. ان الغرب بمفهومه الحضاري قد انتقل مركز ثقله من اوروبا الغربية الى امريكا واوروبا الشرقية وتمثل اسرائيل مشروعا لانتقال مركزه الى الشرق ساحقا خصوصياته ومواريثه الروحية وامال البشرية في نهضة مجددا وانقاذه للحضارة.

تعثر حركة التحرر الفلسطيني: ولعل السبب الرئيسي في فشل او ضعف المجهودات التحريرية في فلسطين حتى الآن هو ضعف اساسها الفكري بافتقادها لمثل هذه الرؤية الاستراتيجية الايديولوجية الحضارية الشاملة كأساس ثقافي وتربوي ورؤية مستقبلية حضارية لتكوين المناضلين وتثقيفهم والامة والبشرية بخطر المشروع الصهيوني الغربي الاميركي على الانسان والحضارة ومايقتضيه ذلك من مسؤوليات ضخمة تلقى على عاتق كل المؤمنين حقا بالله وكرامة الانسان وحريته. ولا شك ان حملة المشروع الاسلامي وهو المنظور الايديولوجي الشامل للنقيض الصهيوني الصليبي هم على رأس المعنيين بتعميق التفكير في المسألة اليهودية وبطرح الرؤيا الاسلامية البديلة كمشروع اسلامي للحضارة العالمية في كل ابعاده الفلسفية والتنظيمية والمجتمعية والخلقية والجمالية. ولا شك ان القطاع الاوسع من العاملين في ميدان النضال ضد المشروع الصهيوني ليسوا حتى على الحد الادنى من استيعاب وحمل هذه الرؤيا التحريرية الشاملة بل ان كثيرا من فصائلهم على جفاء بل حتى على عداء مع هذه الرؤيا الامر الذي قاد معظم فصائل التحرير الفلسطيني في النهاية الى الدوران في فلك النظام الدولي وامتداداته في المنطقة فتمزقوا وضاعوا وانفصلوا عن العمق الشعبي بابعاده الروحية ومخزونه الايديولوجي الضخم. بل قد تحول الكثير منهم الى عملاء بوعي او بموضوعية للمشروع الصهيوني الغربي، ذلك ان التحرر النفسي الثقافي من العدو والاستعلاء علية شرط في التحرر المادي والتفوق عليه. لا تحرر الا بتجذير القطيعة الشاملة مع المشروع الصهيوني وتأصيل المشروع الاسلامي البديل. على حين كانت معظم حركات المقاومة للمشروع الصهيوني لا تكاد تخرج عن اطاره الفلسفي والخلقي، تقاوم مشروعا قوميا صهيونيا بمثيل اقليمي عربي، تقاوم عقلية مادية بمثلها مادية في حين ان الصورة الاصلية تبقى متفوقة على النسخة المقلدة لها.

من هنا ياتي اهم اعتراضاتنا على ايديولوجية منظمة التحرير وسائر فصائل المقاومة العلمانية الفلسطينية والعربية، وتفسيرنا لما اصابها من وهن وانتهاء معظمها الى الدوران في فلك النظام الدولي، اي الوقوع في شباك الخصوم والانتهاء الى الارتباط المصيري بهم ماليا وسياسيا وفكريا، والجري وراء المصالحات والمساومات دون الظفر بطائل. هذا دون التحقير لما قدموا من تضحيات جسام وما حققوا من بلورة للشعور الوطني الفلسطيني الذي وجدوه غبارا ضائعا في الصحراء العربية والدولية فلموا شتاته. ومن هنا تاتي اهمية ظاهرة الابداع النضالي والتطوير النوعي الذي مثلتهما الانتفاضة في فلسطين. فكما استطاعت منظمة التحرير ان تمثل تطورا

نوعيا في المسألة الفلسطينية من خلال سحب القضية الى حد ما من قبضة الانظمة العربية وقدمت للوطن وللشعب المشتت رمز الاستمرار ووجوده ووحدته، رمزا استقطب النخبة الفلسطينية والعربية وطرح القضية على المستوى الدولي غير ان الاقتيات على موائد العدو عزل الخطاب عن الجماهير ورمى بالنخبة في متاهة النظام العربي والدولي فتلاعب بها وحرمها من الالتحام بالعمق الشعبي ومن طرح نفسها مشروعا حضاريا بديلا. استطاعت الانتفاضة ان تعيد الزخم الى حركة التحرير وان تسحب القضية من قبضة النخبة اي المركزية الفلسطينية وارتباطاتها العربية وما كان للانتفاضة ان تمثل تطورا نوعيا نقل القضية من النخبة الى الجماهير موسعة نطاق الحركة في العمل التحريري لولا ما دخل على الخطاب الفلسطيني للتحرير من عناصر قيمية واستراتيجية جديدة فمثل الاسلام فيها دور الغريب العائد ـ او عودة الروح ـ وعودة النفس الراديكالي في القضية مع الحلول الاستسلامية التي تواطأت عليها منظمة التحرير بكل فصائلها والنظام العربي في غالبيته الساحقة اي التمسك بتلابيب النظام الدولي والمطالبة بقرار التقسيم بما فيه الاعتراف بالعدو الصهيوني. وما كان للانتفاضة ان تجر الى ساحة المقاومة هذا الحشد من الحماس ومد التعاطف الاسلامي والدولي لولا ما اصاب من استراتيجية المنظمة من عجز ووهن وانسداد آفاق وسقوط في خندق الخصوم من جهة وتأثيرات الصحوة الاسلامية في المنطقة العربية الاسلامية من جهة اخرى.

والخلاصة من كل ذلك انه اذا كانت الصهيونية تمثل تكثف المشروع الغربي وخنجره المسموم في القلب الاسلامي وروحه المدمرة لكل ما هو الاهي وانساني، وان المشروع الغربي هذا يمتد اليوم كخلايا سرطانية في جسم العالم كله من خلال اخطبوطه الاقتصادي والاعلامي وفنونه وآدابه وأساطيله ومخابراته وعملائه، تحتم ان يكون عمل تحرير فلسطين على نفس المستوى من الاتساع والشمول واكثر. لان اخراج الصهيونية من فلسطين هو بمثابة عملية تطهير شاملة وعميقة للحضارة كلها فأنى يكون ذلك دون استنفار عام لكل طاقات الامة بل لكل مستضعفي العالم واحراره. انه لن يخرج الصهاينة من فلسطين الحبيبة حتى يتحول العالم كله معركة على كل صعيدا، فلسطين، اي ساحة معركة شاملة ضد المشروع الصهيوني الامريكي الشيطاني المنبثة سمومه الفكرية وادواته التدميرية في الجسم العالمي كله وحتى تتواتر وتتكاثف وتشتد المجهودات والاعمال المبلورة والداعية والمؤصلة والمكافحة لارساء المشروع البديل، المشروع الاسلامي على نحو تغدو معه كل خطوة لتاصيل الروح والاخلاق حياتنا الثقافية والسلوكية الاقتصادية كل خطوة لدعم الروابط الاسرية والاستعلاء بالحياة الجنسية صوب مناخات العفة والروحية، كل جهد للاستعلاء بالفن والفكر والادب الى الافق الانساني الرفيع بعيدا عن الاثارة...... والتحلل. كل خطوة لضرب الاقتصاد الرأسمالي السامري من اجل اقامة علاقات التعاون والعدالة والاخوة وربط الربح بالجهد والتوزيع للخيرات ضمن الافق الانساني كل جهد لمقاومة الدكتاتورية وتركز السلطة في اتجاه توسيع دائرة المشاركة في اتخاذ القرار، كل خطوة في اتجاه توحيد الامة ورفض القانون المسمى دولي وخاصية مؤسسة مجلس الامن في اتجاه علاقات المساواة والتعاون بين الشعوب. كل خطوة على هذا الطريق تغدوه خطوة نحو تحرير فلسطين، من معاني مركزية القضية الفلسطينية، هذا بعض ما نعنيه نحن الاسلاميين بمركزية القضية الفلسطينية ضمن حركة التحرر العالمي وضمن القضايا الاسلامية. ومثل هذا الشمول للمسالة الفلسطينية والامتداد الافقي والرأسمالي لا يقتضي بحال ان نغلق جبهات الصراع الاخرى المفتوحة ضد المشروع السلطوي الامريكي الصهيوني المدمر لكل ما هو الاهي في حياتنا الفردية والجماعية من ذلك فان هذا الشمول لابعاد المعركة في مواجهة المشروع الصهيوني يقتضي ضرورة ان توسع جبهات المقاومة وتعميقها كما وكيفا فتعمل على تثبيت مكاسبنا بدعم المراكز التي حققت تحررها من الولاء الغربي المقيت كما حصل هنا في الجمهورية الاسلامية معتبرين ان اطماع الاعداء واحقادهم ومخططاتهم في استرجاع هذا المركز الهام لا تنتهي، الامر الذي يفرض توالي وتضافر الدعم لهذا المكسب ومد وتجذير اواصره مع سائر اجزاء الامة وقوى التحرر في العالم لمواجهة لا المكايد الخارجية فحسب وانما الداخلية ايضا بل واساسا. فانه من الوهم الظن بان قوى الردة في الداخل والمتمثلة اساسا في دعاة العرقية الاقليمية وانصار الطائفية ممن لا زالوا يشدون ايران الى احد هذين المحبسين: العرقية وهي بالضرورة شديدة الوثاق بالغرب مولهة بنموذجه الحضاري والطائفية وهي حنين الى الماضي وكلاهما اجهاض لمشروع الثورة وتراث الامام رحمه الله، ذلك التراث الذي اقتلع الى حد كبير ايران من محبسيها ورمى بها في الهم العام، هم امة الاسلام والانسانية في كفاحهما التحرري من هيمنة الاخطبوط الغربي الصهيوني في بعديه الشاهنشاهي والتشيع الطائفي لا التشيع العلوي المجاهد. ان هذا المركز، ان تراث الامام امانة ولا شك في اعناق امة الاسلام في ايران وفي كل مكان وخاصة قيادة الحركة الاسلامية هنا وفي كل مكان، واحرار العالم. ان هذا المركز بدوره واجبات عظمى تجاه حركة التحرر الاسلامي والعام في كل مكان وخاصة في فلسطين المحتلة، وفي السودان المجاهد ضد المخطط الدولي والاقليمي (مصر كامب ديفيد ـ السعودية ـ اثيوبيا... والصهيونية عامة والامريكي) يحتاج الى دعم سريع لتثبيت تحرره واستكمال بنيانه الاسلامي حتى يساهم بدوره في حركة التحرر العالمي والامر قريب من ذلك فيما يتعلق بالاقطار المرشحة للخلاص قريبا (افغانستان ـ الجزائر ـ اليمن ـ تونس ـ الجمهوريات السوفياتية) فكلما اتسعت حركة التحرر من الهيمنة الغربية الصهيونية وانتشرت اكثر المراكز المحررة وتواصلت كلما اكتسبت معركتنا المركزية في فلسطين دعما اضافيا يقرب يوم النصر.

وان من معاني مركزية القضية الفلسطينية ان نخوض معاركنا الوطنية والفكرية والاقتصادية مستبطنين بوعي عميق المنظور الشامل لمعركة الاسلام ضد المشروع الصهيوني الشامل كاشفين عن اصابع اخطبوطه الممتدة افكارا وقيما وارتباطات واشخاصا محليا ودوليا. والحقيقة الملفتة ان القضية الفلسطينية منذ ظهورها في الاربعينات هي التي رفعت من رفعت منازل رجال وشخصيات واحزابا فأصلتهم في الذروة ونزلت بأخرين الى الحضيض بحسب درجة بلائهم وثباتهم في نصرة القضية ان الشهيد حسن البنا وجمال عبد الناصر والامام الخميني وعلى نحو ما الملك فيصل وآخرون كثيرون ما كانوا ليحتلوا مكانة متميزة في ضمير المسلمين وفي حياتهم لولا عمق خطابهم الفلسطيني ومواقفهم وما اشاعوا من آمال او بذلوه من جهود وتضحيات او ماقاموا به من توعية وتحريض ضمن مجهود تحرير فلسطين، الامر الذي يكشف عن حقيقة هامة: ان هذه القضية العظيمة، قضية فلسطين، هي قدر من الكرم والوفاء لانصارها انها تعظمهم اكثر مما تاخذ منهم انها من اعظم الجسور الى قلوب الناس ومن اقوى المؤهلات لقيادتهم. ان المتتبع لخطب الامام الخميني يرى بجلاء عمق ايمانه بالمسالة الفلسطينية واتساع المساحات المخصصة لها في مشروعه العظيم لاقامة الجمهورية الاسلامية على انقاض المشروع الشاهنشاهي الغربي الصهيوني. لقد ابدا واعاد رحمه الله في كشف الروابط المتينة بين الدولة الصهيونية ونظام الشاه كما ربط في حس الجماهير ووعيهم بين اقامة الجمهورية وتحرير فلسطين وضرب المصالح الامريكية الصهيونية وكان طرد سفارة الكيان الصهيوني وتسليم مقرها الى الفلسطينيين رمزا بالغ الدلالة على انتصار الاسلام وعمق الايمان الفلسطيني في النظام الجديد وذلك درس بالغ لقادة الحركة الاسلامية في كل مكان ان يخوضوا معاركهم الوطنية من منظور فلسطيني كما فعل اسلافهم القدامى والمحدثون انسجاما مع عمق وشدة الحملة القرآنية ضد بني اسرائيل واقتداء بثورة المصطفى عليه السلام ضد فساد بني اسرائيل وتجسيدا لشعار مركزية القضية الفلسطينية.

وان من ابعاد هذا الشعار ومقتضياته اعتبار كل نصر تحققه على اي جهة من جهات النضال المشروع الصهيوني الغربي المهيمن يعود بالضرورة الى الانتقال في صراعنا ضد الصهيونية من الصراع غير المباشر الى الصراع المباشر، كما اعلن عن

ذلك الشيخ عباسي مدني من ان قيام دولة الاسلام في الجزائر مقدمة الاعلان الجهاد الاسلامي الجزائري ضد الكيان الصهيوني اللقيط في فلسطين. هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان الجبهة الفلسطينية المباشرة في الارض المحتلة من حقها باعتبارها الجبهة المركزية على القائمين في كل الجبهات المترامية الاطراف ان تتلقى دون انتظار مساهمات مهما كانت متواضعة من سائر الجبهات بما يبقي هذه الجبهة صامدة فعالة موارة بالحركة كيف لا والجسم الصهيوني الرهيب انما يتحرك بـ80٪ من طاقته بما يضع في شرايينه من دماء تنحدر اليه كالسيول من اطراف المعمورة كلها، اي ان بقاء الجبهة المباشرة مفتوحة فاعلة في الخط الاول بل في قلب العدو امانة ومسؤولية في اعناق المسلمين واحرار العالم من اجل انهاك هذا الكيان وشل طاقاته عن النمو والزحف والحد من شرهه ونهمه الى مزيد من الالتهام، ومن اجل ان يظل الامل حيا في قدرات الشعوب المؤمنة مهما كانت وسائلها ضعيفة وتحريضها على ان تتمرد على اعتى الكيانات الطاغوتية تنظيما وتقدما تقنيا وامداد دوليا. وحتى يكون ذلك عامل تخجيل واغراء للامة كلها والمستضعفين عامة ان يحاولوا ان يثوروا و يتمردوا على كيانات هي بالضرورة اقل تماسكا وتقدما من الكيان الصهيوني، انه اذا قدر الاسلام في فلسطين ان يضرب و يوالي ضرب الحية على الرأس فكيف لا يقدر المسلمين ان يضربوا الذنب؟ ان الانتفاضة تغدو على هذا النحو حطمة بتطاير شررها على امتداد هذا الجسم المنتشر في ارجاء امة الاسلام والعالم، فلا مناص من فضل طاقة تسارع به كل الجبهات لامداد خط النار الاول بوقود متواصل فيكون ذلك الفضل بمثابة سفارة لنا في عاصمة الثورة العالمية و بمثابة مفرزة صغيرة من الجند لتثبيت الصف الاول ومده ريثما تتوارد جيوش الاسلام والاحرار من كل صوب، مفرزة تعلن للمجاهدين في ارض الرباط على الخط الاول صبر ساعة.

ايها الاحباب، ايها الرواد نحن قادمون انفاذا لوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليهود سيقاتلوننا (بما يفهم منه انهم يفعلون ذلك مجتمعين وهم اليوم يتواردون لفيفا). فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا. واننا سنقاتلهم (اي مجتمعين) فتكون معركة الكفر كله مع الايمان كله، فتجهز على الشر كله، و يولد عالم جديد وتنطلق دورة جديدة لحضارة الاسلام.

ايها الاخوة المجاهدون، ان المشروع الصهيوني مشروع شيطاني يتصرف في طاقات الشر كلها فلا تمكن مقاومته بنجاح الا بمشروع يعبىء طاقات الامة كلها، طاقات الايمان والجهاد والاجتهاد والفكر والفن والاقتصاد والاستشهاد، يعمق التوكل والزهد والانابة والتقوى والشوق الى لقاء الله وروح الجماعة والايثار ويجدد اليقين في نصر الله للمؤمنين وهلاك اليهود ومن والاها ودخول المسجد كما دخلناه اول مرة. ان مشروعا بهذه الضخامة لا يمكن ان يكون مشروعا اقليميا او فلسطينيا او عربيا انه اوسع من ذلك، مشروع حضاري اسلامي انساني، فاوقدوا نار الشوق والتمرد والمقاومة الاسلامية في كل مكان اذ لن تتحرر فلسطين حتى تغدو الارض كلها فلسطين اي ساحة حرب ضد الطاغوت الدولي في كل ابعاده.

4- محطات تقوية: وان مما يحقق الهدف المذكور: توسيع دائرة وفعالية المقاومة

أ- تنمية ادبيات الجهاد وتعميق وتأسيس وتأصيل المسألة الفلسطينية في ثقافتنا، مناهج تربيتنا ومن ذلك تجسيد معاني هذه الآية: «اشداء على الكفار رحماء بينهم»، ومن ذلك تحريم الاعتماد والولاء لغير المسلم «ومن يتولهم منكم فانه منهم»

ب- دعم المراكز المحررة مثل الجمهورية الاسلامية والسودان وتقديم العون الى المراكز وشيكة التحرر.

ج- اقامة مؤسسات مالية استثمارية لتحويل الجهاد التحريري الاسلامي باموال المتبرعين المسلمين مثل بنك لتحرير فلسطين، بنك لتحرير العالم الاسلامي، وفي هذا الصدد فان تقديري لعظيم لما اعتزمه مجلس الشورى في الجمهورية الاسلامية من تخصيص في الميزانية هذه السنة لدعم الانتفاضة فليت الدول في العالم الاسلامي وهي تزعم مناصرة فلسطين تفعل مثل ذلك. كما اني اثني بهذه المناسبة على خطاب السيد احمد الخميني في تحريضه للجمهورية ان تكون مواقفها ذات جد ومصداقية في الوقوف مع الحركة الاسلامية في كل مكان.

د- تأسيس مركز لتقريب المذاهب الاسلامية، وان ما اعلن عنه سماحة القائد علي خامنائي من مشروع لتقريب المذاهب ليستحق الدعم والتقدير، فان عدم الاعتراف بالتنوع داخل البناء الاسلامي اقرب سبيل الى هدمه، واني لاسجل بكل مرارة واسف ان العشرية المنصرمة حيث كانت من احلك واتعس ما مر على امتنا في عصورها المتاخرة على صعيد وحدتها لما لطخت به هذه العشرية من تحارب بين المسلمين وبما طفح على سطح الثقافة الاسلامية من تشدد مذهبي وبداوة فكرية اسلامية اطل بل هيمن فيها الانحطاط، وفشت كتب البؤس والجدال الطائفي العقيم. فهل لنا ان نعلن من هذا المنبر ونتعاهد على طي ملف الجدل والتكفير المذهبي وانهاء عشرية الفقه البّدوي الى الابد، كما وصفه بعبقرية شيخنا الغزالي، فاتحين عهد الاخوة والوحدة الاسلامية والتسامح بين المسلمين والاعتراف بالتعددية والتنوع داخل الامة، تنوع واثراء الحديقة المؤتلفة الرافلة بمختلف طيوب والوان، اشكال ازهارها؟ ولا يفوتني هنا التنبيه الى ان الوحدة الاسلامية وعملية التقريب المذهبي لن تتحقق في مخبر الفقهاء فغالبا ما كانوا مختلفين وانما في ساحة القلوب المخلصة الخفاقة بالمحبة لله والمؤمنين والعقول الواعية بمقاصد الاسلام العليا والمهمومة بالهموم الكبرى للامة والانسانية، انه على ساحة الجهاد ضد الطغيان الدولي وساحة المجاهدة ضد رواسب الانحطاط والمنازع الطائفية والشخصية يتعايش المجاهدون في محبة و يقين بوحدة المصير انها وحدة المجاهدين العلماء والاتقياء وليست وحدة القاعدين الخبراء. ان فقهاء الحركة وحدهم يتوحدون اما فقهاء الاوراق كما دعاهم الشهيد سيد قطب فلن يزيدوا الامة الا خبالا وافتراقا.

وان مما يجسد وحدة الامة الاسلامية في مؤسسة فاعلة رامزة لهذه الوحدة العمل على اقامة مجلس شورى الامة الاسلامية برعاية الجمهورية الاسلامية يضم خيرة مفكريها وعلمائها وزعماء الحركات الاسلامية والخيرة من العلماء العاملين من اجل البحث في السياسات الاسلامية وتوجيه المسلمين في كل ما يعرض من همومهم الكبرى الى الموقف الشرعي الاسد و يرسي من جهة اخرى علاقات واضحة بين اعضاء المجلس المذكور يكون بمثابة عقد التزام تتوازن فيه الحقوق والواجبات على نحو يجسد وحدة المسلمين ويجعل الانتماء الى هذه المؤسسة والالتزام بها ليس مجرد منزع عاطفي او شعيرة تعبدية «البيعة» وانما عقدا شرعيا يكون الناس منه على بينة من امرهم.

واني لازكي بهذا الصدد الدعوة الى انشاء نواة لجيش اسلامي لتحرير فلسطين والمناطق الرازحة تحت الاحتلال من ارض المسلمين.

اتمنى على مؤتمر فلسطين ان يصدر ادانة صريحة قاطعة صارمة بل تهديدا واضحا حازما لكل دول الطوق الفلسطيني التي تقوم بدور الحارس للكيان الصهيوني وتحول بين ملايين من الشباب الاسلامي والمساهمة في رسالة تحرير فلسطين وذلك رغم ما يدعيه بعض تلك الدول من ثورية وتقدمية وما هي الا الحارس الامين لامن الصهيونية وتسلطها.

5- في ازمة الخليج: نؤكد على ان الاسباب العميقة لازمات المسلمين ومنها هذه الازمة غياب المنهج الاسلامي في الوحدة فهذه الفسيفساء المسماة دول العالم لم تختره امتنا وشعوبنا وانما فرضها واستمر في حمايتها اعداؤنا لمصلحتهم تأبيدا لضعفنا، وولائنا لهم ولنا بالتأكيد اعتراضات جوهرية على النظام العراقي وعلى الحرب الجنونية التي فرضها على الجمهورية بدعم من انظمة الخليج وان كانت تلك الحرب قد افرزت اعظم جيشين في العالم لو وحدا اتجاههما اليوم وهوما نأمله ونراه واجبا لتغيير اتجاه التاريخ. ونحن بالتأكيد متألمون لما اصاب اهل الكويت من نكبات. سواء منهم من كان من الصنف الأول وهم القلة، «الكويتيون بالتأسيس»، اومن اهل الدرجة الثانية: «الكويتيون بالتجنيس» اومن اهل الدرجة الثالثة وهم الغالبية ممن لا يعترف القانون الكويتي الهالك بوجودهم اصلا حتى ادرجوا تحت صنف «بدون» اومن الجاليات التي خدمت الكويت منذ

عقود ولم تنعم مع ذلك بحقوق المواطنة وبخيرات الكويت المكتنزة قناطير في البنوك اليهودية والصليبية، الامر الذي يجعل هذا التصنيف للمواطنة في دول الخليج لا نظير له الا في جنوب افريقيا العنصري. قلت نحن اذ نعترف على طبيعة النظام العراقي وسائر النظام العربي واذ نتالم لما اصاب المساكين في الكويت فليس ذلك من موقع الغيرة على الفسيفساء التعيسة المسماة اوطانا فكلنا نقمة على حدودها وسياستها وعلاقاتها بل نحن مع العاملين بجد لنسفها نسفا لما لحقنا في ظلها من مذلة وضعف وهوان ومظالم لا حد لها وتذيل لاعداء الاسلام، ولذلك فان سقوطها اهون علينا من سقوط نخلة في البادية، وانه مهما كان حجم اعتراضنا على النظام العراقي والمنهج الذي سلكه في ضم الكويت وما وفي ذلك من فرصة للعدو الامريكي الصهيوني وعملائه المتربصين الدوائر بأمتنا، فان المشكل المبر الذي ما ينبغي لدعاة وحدة ارض العرب والمسلمين ان لا يذهلوا عنه في غمرة الازمة القائمة.

1 ـ ان الخطر الاكبر الذي ينبغي ان تتجه كل طاقاتنا لمواجهته اليوم هو التصدي للزحف الامريكي الامبريالي على القلب من امتنا وادانة كل تعاون او تعاطف اوولاء له فكل ذلك موبقات دينية عظمى وخيانات وطنية لا تغتفر. اما مشاكلنا الداخلية نحن العرب والمسلمين ومنها عدوان بعضنا على بعض رغم انه غير مشروع ولكنه مالوف في تاريخنا ومنصوص على علاجه في ديننا: السعي بالصلح اولا ثم اجتماع الكلمة لرد عدوان المعتدي المتعنت ولو بالقوة، والدعوة الى الصلح او الى مقاتلة المعتدي معناها حل المشكل داخليا بعيدا عن كل تدخل اجنبي فذلك يقرب من الكفر «ومن يتولهم منكم فانه منهم».

2 ـ والمشكل الكبير ايضا انه اذا كانت اوضاع التجزئة ينبغي زوالها في اتجاه الوحدة ذلك مقتضى الدين والمصلحة القومية لامتنا فالسؤال الكبير كيف السبيل الى ذلك؟ هل يتوقف امر مصلحة امتنا العليا في الوحدة على رضا مجموعة من العوائل المحظوظة الفارقة في عنادها وانانيتها وتذيلها للاجنبي في ذهول تام واستهانة تامة بالاوضاع الدقيقة لعشرات بل مئات من الملايين المعذبة من ابناء الامة واوضاع التخلف والضعف في مواجهة المد الصهيوني الامريكي الزاحف على امتنا؟ وحتى لو نجحنا في اقناع هذه العوائل المحظوظة هل سينجح عقلاؤنا وحكماؤنا في اقناع اوليائهم الغربيين واليهود بالتخلي عنهم وحرمان هؤلاء اللصوص اليهود والغربيين وعملائهم من هذه السيول الذهبية المتدفقة على الجسم اليهودي الغربي تحفظ قوته ونشاطه وعدوانه على امتنا وتسد ثغراته الكثيرة وتسعف علله حتى لا يسقط كما سقط الجسم الشيوعي الاشتراكي بسبب حرمانه من هذه السيول العربية المنعشة؟ ماذا تراكم فاعلون يادعاة الوحدة لمواجهة الفئات المحظوظة واوليائها اليهودية والغربين من اجل تحقيق استراتيجيتكم وتكاليفكم وواجبكم الديني في الوحدة؟ قلت ان الاسباب العميقة لازمة الخليج انما تكمن في ضعف امتنا التي أحاط بها اعداؤها فوصلو منها ما لم يصلوه في التاريخ كله قلب جزيرة العرب واكتاف الحرمين الشريفين وان المسؤول الاساسي عن ذلك الضعف هو غياب المنهج الاسلامي في الوحدة وحكم الشورى والتوزيع العادل للثروة بدل الترف الفاجر وتمويل الاعداء الكفرة باقوات الضعفاء الا تقياء من ابناء امتنا. انني كلما نظرت بعين الايمان الى هذه الثروات الطائلة التي لانظيرلها في العالم كله والمبثوثة في جزيرة العرب في اكناف الكعبة المشرفة لا ادرى في كل ذلك غير وقف قد حبسه الغني الكريم العليم على حماية هذا المشروع الحضاري العالمي الذي ترمز اليه الكعبة المشرفة ودعم قوة وعزة الامة القوامة على هذا المشروع؟ فهل احترمت ارادة صاحب هذا الوقف في تصريف هذه الثروات الطائلة وفق شروط الوقف في الشريعة الاسلامية؟ الجواب بالنفي المؤكد والدليل على ذلك هومسارعة القائمين على هذا الوقف لمجرد احتمال وجود الخطر الى الاستنجاد باعداء الاسلام اولياء اسرائيل فاقتحموا الاكناف المطهرة بجيوش لا قبل بها لدول المنطقة مجتمعة حتى غدا السؤال ليس هل تجوز الاستعانة بهم ام لا وانما من المستعين اليوم ومن المستعان به؟ من يملك اليوم في جزيرة العرب قرار الحرب والسلم؟ الجواب واضح قاطع ليس الكويتيون ولا السعوديون ولا المصريون ولا السوريون وانما بوش وصدام، بوش الذي منع كل محاولة للصلح وحتى مجرد الاتصال بصدام ولو من اهل المنطقة هو اليوم وحده يدعو صداما للحوار، باسم من؟ لم يفوضه احد صراحة لا مجلس الامن ولا السعوديين وانما ميزان القوى، جيوشه واساطيله هي التي فرضته ناطقا وحيدا رسميا في جزيرة العرب فكيف يدعي احد بعد ذلك من اهل المنطقة سيادة لدولة، غير العناوين الزائفة وانما الامر في هذه الدولة مجرد القاب سلطنة في غير موضعها كاهر يحكي انتفاخا صولة الاسد. ان مايهمنا اساسا في قضية الخليج التأكيد على ما قدمنا من انه ليست الغيرة على عوائل وانظمة الخليج هي التي حركت هذه الجيوش الجرارة وانما تحقيق اطماعهم الدفينة في وضع ايديهم على اكبر مخزون لاهم طاقة في العالم والتصدي للصحوة الاسلامية المتنامية حماية لامن اسرائيل والمصالح الغربية ويندرج في ذلك تدمير جيش العراق وآلته وصناعاته الحربية التي حصل خلال ملابسات خاصة. نحن حريصون من اجل ذلك على ان لا يصل الامريكان الى اهدافهم من هذه الحملة الصليبية مقدرين ان ذلك سيضع الامة مرة اخرى تحت الحماية الامريكية اليهودية المباشرة وستكون الصحوة الاسلامية اكبر الضحايا. ان مصالحنا على طرفي نقيض مع المصالح اليهودية الامريكية ولذلك بقدر حرص اليهود على الحرب وتحريضهم عليها حتى يزيلوا بايدي ودماء ضحاياهم الغربيين العقبة المتبقية في المنطقة في وجه قفزة لهم جديدة قد توفرت اسبابها المحلية والدولية: اي التهام الضفة الغربية والاردن بقدر حرصنا نحن واشد على عدم صمود العراق ايا كان موقفنا من نظامه معتبرين واجبا شرعيا منع سقوطه تحت السنابل الغربية اليهودية حتى لا نقف في ذهول وحسرة ونندم قائلين: أكلنا يوم أكل الثور الابيض. ونحن هنا ندعم بكل قوة دعوة سماحة علي خامنائي الامة الى الجهاد لطرد الشيطان الاكبر حتى يكون ذلك مجال للصراع مع الشياطين الصغار. وان الخطر الاكبر في نظرنا لا يمكن في الحرب رغم اهوالها المدمرة كيف لا وهي ورحاها تدور على مدننا وجماجم اطفالنا ونسائنا ومنشآتنا، وانما اشد من خطر الحرب وان انتهت بهزيمة ممثل الامة في هذه الحرب بشكل موضوعي اي العراق، اشد من ذلك خطرا ان تشتد القبضة على العراق وينفرد به النظام الدولي والتآمر الاقليمي وصمت الشعوب وارتباكها وحيرتها تجاه اختلاط الالوان وعدم صفاء الرؤيا فينتهي الى الاستسلام وليس معنى الاستسلام هو انسحابه من الكويت فلقد دعوناه الى الانسحاب لان دافع هذه الجيوش الجرارة ليس بالتكيد الغيرة على آل الصباح رغم ماقدموا لهم من خدمات فهؤلاء وامثالهم ليسوا شيئا في الميزان الغربي وانما ماقدمنا من اهداف استراتيجية عليا ومنها تدمير الآلة الحربية العراقية خشيتنا الكبرى ان يستسلم العراق بهذا المعنى فيقبل ما كان قد حمل عليه حاكم مصر في القرن الماضي محمد علي: فيقبل الرقابة الغربية على جيوشه واسلحته وصناعاته استبقاء لشخص الحاكم، وما نحن بمولهين حبا وولاء للاشخاص وانما الامة ومصالحها العليا هي مناط ولائنا.

نحن في كل الاحوال مستيقنون ان هذه المحنة ستكون اذا استلحنا بالوعي والايمان خيرا وبركة على الامة وبداية النهاية للامبراطورية الامريكية الصهيونية. ان هذه الازمة قد دخلت بالمنطقة مرحلة هامة وكبرى من التحولات انه من السذاجة تصور ان كان عودة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل الازمة، واذا كانت تلك الاوضاع لم ترف ظلها غير القهر والعسف وعربدة الصهيونية والغرب حماة تخلفنا وهواننا فليس في هذه الاوضاع ما نحرص على استبقائه ولا في زواله مانأسف عليه فلندفع حركة التاريخ والتغير عاتية جبارة مدمرة الى ان تستقر على حال نرضاه، وبشائر الاسلام وموعوداته في انتصار الاسلام وقيام دولته العالمية وتصفية

حسابه مع جيوش اليهود الجانية الفافا موعودات لا تتخلف ومن وسائلها هذه الحملة الصليبية التي سلطها الله على امتنا لتوقظها وتدفعها الى الجهاد والوحدة والمسلطة نقمة على هذه الانظمة العميلة التي تقهرنا وتشل طاقات الابداع في امتنا فسلط الله هذه الجيوش الجرارة تفضح هوانها وعمالتها وتذيلها للاجنبي وانها سنة التدافع والتحارب الضرورية لاصلاح العالم وصهر المعادن وولادة الخير «ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز» صدق الله العظيم.

تنبيهات هامة:

ماينبغي ان يساور احد ذرة من شك ان امة الاسلام لن تقبل ما بقي فيها احد يوحد الله ويتلو كتاب الله بالوجود الصهيوني على اي شبر من دار الاسلام وانها ستقاوم هذا الكيان السرطاني الذي زرعه الغرب الصليبي في جسمنا لتفتيته وتدميره ولن تكف عن مقاومته ومقاومة كل من يقف وراءه ويمد يد العون اليه، تلك فريضة دينية وواجب وطني وخدمة للحضارة الانسانية ونحن نفعل ذلك دونما استشعار حقد عنصري ولا ديني فلقد تعايشنا مع اليهود وعاشوا في ظل حضارتنا ابهج ايام حياتهم قبل ان يغريهم ويغرر بهم الغرب الصليبي ويقذفهم الى جحيم غضبنا وجهادنا معرضا اليهودية كدين واليهود كجماعة دينية الى خطر الابادة واننا نحن المسلمين ضحايا التآمر الدولي لمشفقون على الشعوب الغربية في اوروبا وامريكا الرازحة تحت وطأة التحالف الرهيب للمؤسسة اليهودية والرأسمالية المدعوة اليوم بالنظام الدولي تلك المؤسسة الرهيبة بزعامة الادارة الاميركية الصهيونية التي تقود العالم الى الدمار واذكاء الاحقاد بين الشعوب والديانات وخاصة بين الاسلام وشعوب الغرب تنشر الفساد وتذكي نار الحرب وتوسع دائرة الاستغلال والنهب والفاقة والأوبئة المدمرة وتطارد كل ماهو الاهي في حياة الناس والحضارة محولة البشرية الى قطيع يساق بعصا الاعلام والبورصة والقانون الدولي والاساطيل الجرارة، تنساق الى الدمار الشامل تحت قيادة الحكومة الخفية التي توشك ان تكتمل شرائط اعلانها رسميا من افواه الحاخامات وقد انتصبوا على الهيكل في القدس.

نحن نصرخ في ضمير كل مؤمن بالله وكرامة الانسان ان استيقظوا وانتبهوا فان مخطط الدمار الصهيوني الامريكي يوشك ان يجهز على فريسته على كل دين وخلق وفكر اصيل وفن رفيع وعلاقات انسانية اخوية واسرية.

واننا نعلن بكل حزن اننا سنظل معتبرين ان عدونا الاكبر عدو كل دين وخلق هو الصهيونية وان حلفاء الصهيونيّة هم حلفاء الشيطان وان اكبرهم اليوم واشدهم جرما وخطرا على الحضارة والدين والسلام الدولي هو الادارة الاميركية فهي بحق الشيطان الاكبر وهي العدو الاعظم وستستمر الزيجة الشيطانية مع الكيان الصهيوني طالما ظلت الولايات المتحدة خادمة للدولة الصهيونية وحامية لها دائسة على المصالح القومية للشعب الامريكي والشعوب الغربية والانسانية كلها ولكل المبادىء التي لا تفتؤ تعلن انتسابها اليها واعتزازها بها من الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان فاين حقوق الانسان في فلسطين المحتلة؟ ولماذا تحرك الولايات المتحدة وامم الغرب قاطبة اضخم الاساطيل لانقاذ قرار مجلس الامن في الخليج وتعجز حتى عن ارسال لجنة تحقيق حول جرائم الصهاينة في القدس تنفيذا لقرار لمجلس الامن؟.

ايتها الشعوب الغربية والامريكية ان سياساتكم المتذيلة للصهاينة ستعرض مصالحكم في العالم الاسلامي وهي ضخمة جدا لاشد الاخطار. اننا نقدر ان نستغني عنكم ولكنكم لا تقدرون. نحن امة في حالة نمو ونشاط روحي وايديولوجي وديمغرافي وانتم امم تائهة روحيا وديمغرافيا فما عساه يجديكم تفوقكم المادي؟ الم تقرؤوا في صفحات التاريخ ان انهيار الحضارات لم يكن قط بسبب ضعف وسائلها ومستواها الحضاري وانما بسبب انهيارها الروحي والخلقي. ان الاسلام في حالة نمو وهو بكم محيط فماذا عساها تجديكم تحالفاتكم الشيطانية مع الصهيونية؟ انها تدفعكم داخليا الى مزيد من الانهيار الخلقي والاسري وتدفعكم خارجيا الى الحروب والاحقاد المدمرة مع محيطكم الاسلامي تفهم الاسلام وحسن التعامل مع قيمه الحضارية والتعايش مع امته واتاحة الفرصة امام صحوته لانقاذ الحضارة المتداعية الى السقوط بقيادتكم وامداد حياتكم بعناصر قيمته انتم احوج اليها في ارواحكم واسركم واقتصادكم وسائر علاقاتكم من اي شيء آخر. فلماذا تغلقون على انفسكم وعلى البشرية فرص الحوار الحضاري والتعاون مع اقدم واقرب جيرانكم دينا وحضارة وجغرافيا ومصالح؟.

إن نقمتنا وانتقامنا سيزدادان حدة مع تصاعد الاطماع الصهيونية واشتداد عود الصحوة الاسلامية وستشمل هذه النقمة ولاشك كل من حليف وعون وعميل للصهيونية، فما مصلحتكم يا عقلاء الغرب في دفع امة الاسلام في هذا الاتجاه ومصالحكم في التعاون معها لا تضاهيها مصالح اخرى؟ انتم تعلمون التزامنا بتعاليم الاسلام في السلم والحرب «وان جنحوا للسلم فاجنح لها» «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين وانما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم» (الممتحنة) انتم بالامس اخرجتمونا من ديارنا وخربتم ونهبتم امتنا واليوم تظاهرون الصهاينة على اخراجنا من ديارنا وتستميلون ضعفاء النفوس من ابنائنا تظاهروهم على حرب الاسلام واضطهاد ابنائه فهل تظنون ان هذه الحالة ستستمر الى الابد؟ كلا فالاسلام يستعيد يقظته يوما بعد يوم فاتقوا غضبته وعاملوه بالجوار والعدل والمودة فهو عفو كريم سمح.

«انتهوا خير لكم».

واعلموا ان العاقبة للمتقين ولاعدوان الا على الظالمين والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ■

بيان حركة الجهاد الاسلامي حول العدوان الأميركي على الجزيرة والعراق

ياجماهير شعبنا المجاهد في فلسطين... كل فلسطين
ياجماهير امتنا العربية والاسلامية

هذه أيام الله تهل على وطننا الاسلامي وامتنا الباسلة من جديد، وقوى التحالف الغربي والصهيوني حشدت كل قواها لتكسر ارادتنا وطاقات المقاومة والنهوض فينا، ان محاولة الامة المستمرة منذ اكثر من سبعين عاما للرد على كوارث الحرب العالمية الاولى التي تجسدت في تحطيم دولة الخلافة وتجزئة بلادنا وزرع الكيان الصهيوني في القلب من وطننا الاسلامي، ان محاولة امتنا العظيمة للرد تتعرض الآن لأكبر هجمة استعمارية عرفها التاريخ كله.

لقد حشد العدو الأميركي الغاشم وحلفاؤه من قوى الكفر والنفاق احدث آلات الحرب والتسلط، وهو مستمر بلا هوادة منذ منتصف يناير (كانون الثاني) في قصف العراق البطل شعباً وجيشاً وبنى تحتية في محاولة مكشوفة لتدمير هذاالبلد العربي الاسلامي. ان بغداد، عاصمة الخلافة لقرون طوال من تاريخنا المجيد، تعرضت ولا تزال في كل ساعة ودقيقة لابشع قصف وتدمير. ولكن بغداد تقف صامدة قوية تدلل على قدرات امتنا الكامنة وحيوية روحها وأشواق النهوض والاستقلال لديها. ان شعبنا المسلم في العراق يرد الصاع صاعين وقد حطم غرور الغزاة وأمانيهم في حرب سريعة خاطفة، ويؤكد كل يوم على امكانية هزيمة قوى الكفر واحراز النصر.

ياجماهير امتنا في كل مكان.
ياشعبنا الفلسطيني المجاهد في المدن والقرى والمخيمات.

طوال أكثر من قرن من الزمان ونحن نقتل ونذبح ونتراجع، فلنقتل اليوم ونحن صامدون ثابتون، ولنكن على ثقة من أن الله عز وجل تكفل بزرع الرعب والخوف في قلوبهم، وتكفل لعباده الصابرين المجاهدين بالنصر والظهور. على أن علينا ان ندرك جميعا أن عوامل النصر لا تنحصر بساحة اطلاق النار واشتباك القوات، بل ان النصر يصعب احرازه هناك ان اقتصرت ساحة المعركة على منطقة الخليج وترك العراق منفردا في مواجهة الغزو الطاغوتي العالمي. اذ لابد ان تتحرك القوى الشعبية ففي كل مدن عالمنا الاسلامي وقراه لتأخذ المعركة الى مداها الاوسع حيث تتأكد قوى الامة وقدراتها على أن تظهر على عدوها باذنه تعالى.

ان سيلاً مستمراً من المظاهرات الحاشدة بلا توقف، في مدن فلسطين المجاهدة وقراها ومخيماتها، في القاهرة واسطمبول واسلام آباد، في طهران والخرطوم وصنعاء والرباط والجزائر، في تونس ومكة وبيروت ودكا وجاكرتا، تطارد العدو والمتحالفين معه وتشير الى مركز الهجمة المجسد في الكيان الصهيوني، ستجعل من هذه المعركة الكبرى معركة التخلص من الهيمنة الاجنبية وكسر السيطرة الاستعمارية، ومعركة الحرية والاستقلال.

ياشعبنا البطل... ياامتنا المجيدة.
يا احفاد صحابة رسول الله وصلاح الدين وقطز والقسام.

ان ارادة الأمة أقوى من ارادة الطغاة، وباستطاعة امتنا وجماهيرنا المؤمنة ان تحول معركة الأ يام في الخليج الى حرب السنوات على طول الوطن الاسلامي وعرضه. هذه ايامنا وفرصتنا الكبرى. وباسمكم جميعا في ارض الرباط في فلسطين، نناشد القوى الاسلامية المجاهدة في مصر الأم الحنون وأرض الكنانة، في كل بلاد الشام وتركيا الخلافة، في ايران الامام الخميني العظيم، في آسيا الاسلامية وافريقيا التوحيد، نناشد قوى الاسلام أن تقف وقفة العز والاستشهاد والكرامة وان لا تترك هذه الأ يام المجيدة تفلت من ايدينا.

يا أخوتنا من أبناء الحركة الاسلامية:
تقدموا لخوض معركة الامة، فحين ينقشع غبار الحرب لن يتكشف الا عن رايات التوحيد خفاقة عالية، لقداراد الله جلت حكمته أن تعلق بعض الشبهات بثوب الحق اليوم امتحانا لنا جميعاً، ولكننا ان التزمنا بهديه عز وعلا وأعلنا انحيازنا لقضية الامة ومئات الملايين من ابنائها المؤمنين، فلن تكون النتائج الا لصالح الاسلام والمسلمين.
ياشعبنا الفلسطيني البطل من النهر الى البحر.
ياشعب الانتفاضة والآلف شهيد.
ليكن اضراب يوم الاربعاء، العشرين من رجب الحرام الموافق للسادس من فبراير (شباط) يوما لتجديد العهد مع الله أن امتنا ماضية في جهادها حتى النصر أو الشهادة.

الموت للغزاة الطواغيت
عاشت فلسطين حرة عربية اسلامية
المجد لامتنا في كل انحاء وطننا الاسلامي الكبير، المجد لشهدائها وجرحاها ومجاهديها.
والله أكبر والنصر للاسلام وأمته
حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين
القدس - ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٩١
٨ رجب ١٤١١ هـ

نشيد المدن والاشجار

قمر يميل الى الافق
قمر يميل
قمر يميل على الطريق
قمر يميل
دمه يسيل
سعف النخيل وقبضة الاطفال والعمر القصير
نهر دماه
بحر دماه
يمتد من عرض الطريق، الموج، والتاريخ، والاشجار والمطر البعيد
ويمر من ألق الشعوب ودفئها
حتى مداه
الله... ياألله يالله

• • •

هذي القبائل سلحتنا
نفطا وبيتا من رمال
شعرا وقافية ومجدا
هذي القبائل انكرتنا
لغة ومئذنة وقرآنا
وجها واغنية وجلدا
هذي القبائل سلمتنا
لعساكر الرومان والمدن الغريبة
من يشتري العربي؟!
من يشتري؟!
ملكا ومملوكا وجندا

• • •

مدن تطول وتتسع
نأتي إليها لا تصافحنا يداها
مدن بلا ظل ولا مرآه
مدن تماهت في ملامح غيرها
مدن تغادر كل اشعار العرب
مدن اضاعت صوتها
مدن على وجه الجنائز كالزوال
مدن تكرس موتها

• • •

هذي البلاد قد استبيحت اجمعا
تخما وعاصمة وقصرا
جبلا وسهلا
شعرا وامطارا وقمحا
هذي البلاد قد استبيحت
شاما واندلسا ومصر

• • •

قمر يميل الى الافق
قمر يميل
قمر يميل على الطريق
قمر يميل
دمه يسيل
سعف النخيل وقبضة الاطفال والعمر القصير
والموت والميلاد مستلا من الاشجار والاحجار والمطر البعيد
مقموعة عيناه
يقوم من رؤاه
للموت والحياة في شوارعك
كالليل والنهار
تلك الشعوب صوتها
يموج في الميدان: لا
تقولها في شوقها
في عشقها وجوعها
في خوفها من خوفها

• الاسلام وفلسطين *Islam and Palestine*

• نشرة غير دورية تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية

• تصدر عن: دار الجذور للطباعة والنشر

• ترسل الاشتراكات والصكوك باسم: The Roots

• الاشتراك السنوي ١٢ جنيهاً استرلينياً أو ٢٠ دولاراً أميركياً

• المراسلات والاشتراكات على العنوان التالي:

The Roots P.O. Box 4375
Nicosia CYPRUS

وجميع المراسلات والاشتراكات في الأميركيتين على

العنوان التالي: ICP

P.O. BOX 82009

Tampa - Florida 33682 - 2009 USA

IMP. CEDI. Firminy